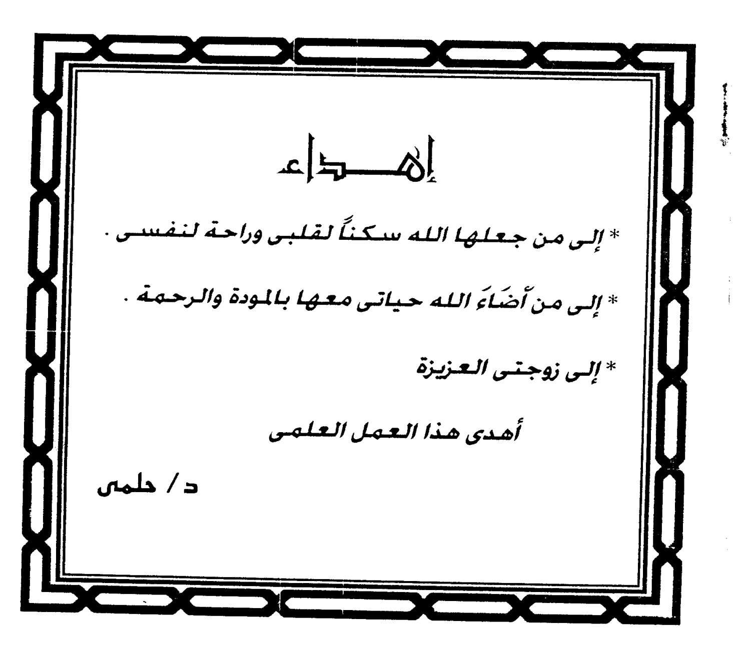
مع

قصص البخاري

تأليف دكتور/ حلمي السيد أبوحسن
مدرس بكلية اللغة العربية
جامعة الأزهر





إهـــداء

* إلى من جعلها الله سكناً لقلبى وراحة لنفسى .

* إلى من أضاءَ الله حياتى معها بالمودة والرحمة .

* إلى زوجتى العزيزة

أهدى هذا العمل العلمى

د/ حلمى



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

صَلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد ما طلعت علينا شمس أو غربت ، ما هبت على كوننا هذا رياح أو سكنت ، ما تحركت فينا الدماء أو توقفت .

أما بعد ،

فالجزء الأول من قصص البخارى قد لقى - بحمد الله - قبولاً ، ونفدت نسخه كلها فور صدوره ، وكم تلقيت من رسائل شفوية تطلب الجزء الثانى وهأنذا أصدر الجزء الثانى ، شاكراً الله تعالى على فضله وتوفيقه. وقد شرحت قصص هذا الجزء حول فكرة جامعة جعلتها عنوانا رئيسيا فى قسمين:

أولهما : قصص عن الأسرة والزواج .

وثانيهما : قصص عن القرآن ومن اهتدوا بهديه .

وجعلت لكل قصة عنواناً ، وشرحتها بأسلوب أدبى يوضح الدروس المستفادة منها بشكل مُيَسَّر، مع عرض لما فيها من عناصر قصصية فنية ، كالتصميم والشخصيات والحوار والزمان والمكان ، وبيان مواطن الجمال فيها وما توحى به الألفاظ والعبارات والأدوات الرابطة من معانٍ مؤثرة ، وجمال فى الأسلوب ، وروعة فى التصوير والتشخيص.

يقول أحد الباحثين : «وأسلوب القصة النبوية تبرز فيه البساطة والوضوح ، وهى البساطة الزاخرة بالحيوية والقوة التى تجعله أكثر تأثيراً وجاذبية ، نظرا لما يتمتع به من

تنويع فى الصياغة والتعبير حسب ما يتطلبه عرض القضايا والعلاقات الموضوعية التى تناولتها القصة »[1]

اللهم علما وانفعنا بما علمتنا ، والحمد لله على كل حال ونعوذ بالله من حال أهل النار.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

د. حلمى السيد أبو حسن

بجامعة الأزهر

الاثنين ٢٣ من رجب ١٤١٥ هـ

٢٦ من ديسمبر ١٩٩٤م

---

(١) د. محمد بن حسن الزير : القصص فى الحديث النبوى ص ١٣١ ط السلفية / مصر الأولى ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م.

القصص والقُصّاص

قصص القرآن حق واقع لا خيال فيه ، وهو ضرب من ضروب القصص يرضى حاجة النفس البشرية ويعطى الإنسانية العظة والعبرة ، ومثله القصص الوارد عن النبى ﷺ بالحديث الصحيح كما فى قصص البخارى الذى معنا .

أما طائفة القُصّاص الذين أطلقوا لخيالهم العنان واختلقوا قصصاً ما أنزل الله بها من سلطان ، اختلط فيها الحق بالباطل، والصحيح بالزائف فهؤلاء هم الذين ألفت رسائل فى ذمهم ، وذم صنيعهم ، وفضح كذبهم وصرف الناس عنهم نظراً لاتباعهم الهوى ، ومن ذلك رسالة السيوطي: «تحذير الخَوَاصّ من أكاذيب القُصّاص»

ورسالة «الموضوعات لابن الجوزي» .

وكتاب «الإسرائيليات فى التفسير والحديث» للدكتور محمد حسين الذهبى .

وقد نقل عن الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه قوله: «أكذب الناس القُصّاص»[1] وذكر السيوطى أنه «لم يقص فى زمن النبى ﷺ، ولا فى زمن أبى بكر ، ولا زمن عمر حتى ظهرت الفتنة وظهر القصاص، ولما دخل عليٌّ مسجد البصرة أخرج القُصّاص منه»[2].

ونقل السيوطى عن كتاب «القصاص والمذكرين» لأبن الجوزى قوله: وإنما كره بعض السلف القصص لأحد ستة أشياء :

أحدها أن القوم كانوا على الاقتداء والاتباع ، فكانوا إذا رأوا ما لم يكن على عهد رسول الله ﷺ أنكروه .

والثانى أن القصص لأخبار المتقدمين يندر صحته خصوصاً ما ينقل عن بنى

(١) تحذير الخواص من أكاذيب القصاص ص ٩٩ ط الأزهر.
(٢) السابق نفسه .

إسرائيل ، ومما يذكر في قصة داود ويوسف من المحال الذى ينزه عنه الأنبياء بحيث إذا سمعه الجاهل هانت عنده المعاصى .

والثالث أن التشاغل بذلك يشغل عن المهم من قراءة القرآن ورواية الحديث والتفقه فى الدين .

والرابع أن فى القرآن من القصص ، وفى السنة من العظة ما يكفى عن غيره مما لا يتيقن صحته .

والخامس أن أقواما قَصّوا فأدخلوا فى قصصهم ما يفسد قلوب العوام .

والسادس أن عموم القصاص لا يتحرون الصواب ولا يحترزون من الخطأ ، لقلة علمهم وتقواهم »[1].

ويذكر أحد الباحثين سبب وجود ذلك فى تراثنا فيقول :

« على أن الأمة الإسلامية وقد أخذت تتسع رقعتها لم تخل جنباتها من أعداء يكيدون لها فى الظاهر والباطن ، فكان من هؤلاء الأعداء من اتجه إلى دس الخرافات والقصص والروايات الكاذبة وترويجها فيما يتصل بتفسير القرآن ودس الأحاديث الموضوعة وترويجها فيما يروى من الحديث »[2].

على أن هذه الاسرائيليات التى دست فى كتب التفسير والحديث لم يتنبه إلى خطورتها بعضهم ، واتجهت العقول المستنيرة إلى مراجعة هذه الكتب وتحقيقها وتنقيتها مما علق بها من شوائب واستمر الأمر على ذلك وصدرت مؤلفات للتنبيه على الموضوعات فى كتب الحديث ، وكذا ما تسرب الى كتب التفسير .

(١) تحذير الخواص من أكاذيب القصاص ص ١٠٢ و ١٠٣ .

(٢) د. بيصار : تقديم كتاب الاسرائيليات فى التفسير والحديث للدكتور الذهبى ص ٣ ط مجمع البحوث الاسلامية سنة ١٩٧١ .

يقول الدكتور الذهبي رحمه الله تعالى: «لقد أدرك المسلمون أنه لا عزّ لهم إلا بتمسكهم بكتاب ربهم وسنة نبيهم ، وأيقنوا بصدق رسول الله ﷺ إذ يقول : «تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتي».

ومن أجل هذا عنى المسلمون بكتاب ربهم كتابة وحفظا وفهما ، كما عنوا بسنة نبيهم ﷺ فرعوها حق رعايتها وقاموا على حفظها وتدوينها ، وقعدوا لها القواعد التى تبين صحيحها من سقيمها ، وجعلوا للرواية أصولاً تقوم عليها ، وللرواة شروطا لا بد من توفرها فيهم حتى يجنبوا السنة زيف المزيفين وعبث المغرضين. غير أن القرآن - على صفائه ونقائه - والسنة - على سلامتها وصحتها - لم يسلما من عبث العابثين ، فإذا بالقرآن وقد تسربت إليه أقلام سقيمة ، وشرح الكثير من نصوصه بما لا يتفق والغرض الذى نزل من أجله ، وإذا بالسنة وقد تطرق إليها الدخيل ، والتبس الصحيح منها بالعليل ، وكان الدافع لهذا كله أغراض سيئة وأحقاد ملأت قلوب الحانقين على الاسلام والمسلمين .

وكان من أئمة الضلال ورءوس الفساد والإفساد عبدالله ابن سبأ اليهودى الذى تبطن الكفر والتحف الاسلام وتظاهر بالتشيع لآل البيت خداعاً منه واحتيالاً على بث سمومه وأفكاره الخبيثة بين المسلمين .

وكان من بين المسلمين - وللأسف - فريق شارك فى هذا العبث على اختلاف بينهم فى دوافع ذلك وبواعثه فمن تنطع وورع كاذب وضع ابو عصمة نوح بن مريم أحاديث فى فضائل السور لا أصل لها بالمرة ، وعن جهالة وغباء استباح بعض الكرامية وضع الأحاديث فى الترغيب والترهيب . وعن ضلالة وتزلف للأمراء روى غياث بن ابراهيم حديث «لا سَبَقَ إلا فى خُفّ أو حَافِر أو نَصْل» وزاد فيه من وضعه (أو جَنَاح) وذلك إرضاء للخليفة المهدى حين دخل عليه فوجده يلعب بالحمام .

وعن غفلة وسذاجة أو لمجرد الشغف بالقصص وما فيه من أعاجيب تستهوى العامة أدخل بعض المفسرين فى تفسير القرآن الكريم كثيراً من القصص الاسرائيلى الذى لا يقبل عقلاً ولا يصح نقلا ، وأسندوا ذلك - كذباً واختلاقا - إلى بعض الصحابة، بل ربما رفعوه إلى رسول الله ﷺ »[1].

يقول الدكتور بيصار : «ولكن الحاجة ظهرت بصورة شديدة ماسة إلى هذه المراجعة والتنقية منذ أوائل هذا القرن حين ووجه الفكر الإسلامى بتيارات الغرب الفكرية العلمانية والمسيحية تلك التى هاجمته بضراوة ، واضطرته الى ان يقف موقف الدفاع، فظهرت أصالته وصلابته وشدة رسوخه بأصوله النقية ، ولم يؤت إلا من قِبَلَ هذه اللواصق والشوائب التى علقت به على مر القرون دون أن تمت إليه أو تكون لها صلة به من قريب ولا من بعيد»[2] .

وقد بذلت جهود مشكورة فى هذه السنوات الطويلة منذ بداية هذا القرن فى تحقيق كتب التراث وتنقيتها مما علق بها من شوائب ، وأثمرت هذه الجهود عن تصحيح كثير من المفاهيم، وتنقية كثير من كتب التفسير والحديث، والسيرة ، وكتب الأدب لتعود نقية من الشوائب التى علقت بها .

هذا وقصص البخارى صحيح لا شك فيه لأن كتابه هو أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى ، وفى عرض قصصه تقديم البديل عن هذه القصص التى يرددها بعض الناس ولا يتثبتون من صحتها .

---

(١) د. الذهبى : الاسرائيليات فى التفسير والحديث ص ٨ و ص ٩ .
(٢) تقديم كتاب الإسرائيليات فى التفسير والحديث ص ٤.

قصص عن الأسرة
والزواج



تمهيــد

تأتى الكتابة عن هذا القصص الذى يتعلق بالأسرة فى وقت عقد فيه المؤتمر الدولى للسكان والتنمية بالقاهرة وذلك فى شهر سبتمبر سنة ١٩٩٤ وقد كتبت الجرائد والمجلات كلاما غريبا واقتراحات جاءت فى المؤتمر تتنافى مع قيم الإسلام ومبادئه كإباحة الإجهاض وعدم وضع قيود وبنود قانونية تجرمه ، وكاقتراح الموافقة على الاسرة من جنس واحد وغير ذلك .

وأكتفى هنا بنقل البيان الذى أصدره مجمع البحوث الإسلامية وبيان جبهة علماء الأزهر بشأن المؤتمر . وما ردّ به شيخ الأزهر على ما نشرته مجله أكتوبر ، وبيان جبهة علماء الأزهر بشأن حجاب المرأة المسلمة حتى يتضح الأمر فالحق أبلج ، والباطل لجلج .

(رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ) .

بيان مجمع البحوث الإسلامية

بشأن المؤتمر الدولى للسكان والتنمية

المؤتمر يستهدف فى أكثر من مادة :

- تبنى نقيض ما شرع الإسلام لمقومات الأسرة الأساسية .
- وحماية العلاقات الجنسية الشاذة بين الجنس الواحد - أو الجنسين المختلفين دون علاقة شرعية.
- وهدم قيم الأديان السماوية لإشاعة الفاحشة والأمراض الخبيثة .

توشك الأمم المتحدة أن تعقد فى القاهرة خلال شهر سبتمبر المقبل ١٩٩٤م، مؤتمرها الدولى للسكان والتنمية ، لتناقش فيه مشروع برنامج عمل أعد من قبل ، تناول فى شق منه .

* بعض أحكام الأسرة .
* والعلاقات الجنسية بين الأزواج أو غيرهم .
* ومدى الحق فى الإجهاض .
* وحق المراهقين فى النشاط الجنسي.

والمطلع على هذا المشروع يرى أن ما زخر به من تعبيرات فضفاضة ، وعبارات مطلقة، ومصطلحات مبتدعة ، يوحى بأنه يرمى إلى تبنى نقيض ما وضعه الإسلام من مقومات أساسية للأسرة ، ويسمح بالإجهاض فى غير الحالات التى تسمح فيها الشريعة الإسلامية بذلك ، ويهدف إلى حماية العلاقات الجنسية التى تثور بين الجنس الواحد أو الجنسين المختلفين عن غير طريق الزواج الشرعى ، بما يهدم القيم التى تحرص عليها الأديان السماوية جمعاء ، ويؤدى إلى أن تشيع الفاحشة، وتتفشى الأمراض الوبيلة التى تنتقل عن طريق الاتصال الجنسى .

ومجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف، انطلاقا من تحمله تبعة الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة الموعظة الحسنة، ومن دوافع مسئوليته عن بيان الرأى فيما يحدث من مشكلات اجتماعية أو غيرها ، قد اجتمع فى يوم الخميس ٢٦ من صفر سنة ١٤١٥ هـ الموافق ٤ من أغسطس سنة ١٩٩٤ م للنظر فى مشروع برنامج العمل المشار إليه ، وخلص إلى تأكيد الحقائق التالية :

أولاً : فيما يتصل بالأسرة :

إن الإسلام ليجعل من الأسرة مصدر السكينة والمودة والرحمة[١] ، ويسوى فيها بين المرأة والرجل لتساويهما فى الإنسانية[٢] ، ويعطى لكل منهما الحق فى إنشاء الزواج واستمراره ما وسعهما أن يقيما حدود الله[٣] ، مع أمرهما بالصبر على ما قد يكرهون فيه عسى أن يكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا[٤] ، ويطالب بتنشئة الناشئة فى الأسرة على الإيمان بالله والثقة فى حكمته وحكمه ، ليكون ذلك الإيمان هو سياج الأمن والأمان لكل فرد فى خطواته من طفولته إلى شيخوخته[٥] ، يجعل الرجل قواما على الأسرة بحكم مسئوليته عنها ، وتحمله عبء الوفاء بمتطلباتها[٦] ، وحماية النشء، وحملهم على الصلاة[٧] ، حتى تنهاهم صلاتهم عن الفحشاء والمنكر فلا تنحرف بهم الطريق إلى الهاوية بسبب قلة خبرتهم مع كثرة الإغراءات حولهم ، وتوهج الغرائز فيهم .

ولا ريب أن هذه المقومات تتنافى مع التشكيك فى اعتبار الأسرة هى الوحدة الأساسية للمجتمع كما جاء فى المبدأ رقم ١٠ من المشروع ، كما تتنافى مع مطالبة

(١) انظر الآية رقم ٢١ من سورة الروم .
(٢) انظر الآية رقم ٧١ من سورة التوبة ، والآيات أرقام ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ من سورة النجم .
(٣) انظر الآية رقم ٢٢٩ من سورة البقرة .
(٤) انظر الآية رقم ١٩ من سورة النساء .
(٥) انظر توصيات المؤتمر الثامن لمجمع البحوث الإسلامية .
(٦) انظر الآية رقم ٣٤ من سورة النساء .
(٧) انظر الآية رقم ١٣٢ من سورة طه والآية رقم ٢٩ من سورة العنكبوت .

الوالدين بالتغاضى عن النشاط الجنسى للمراهقين على غير طريق الزواج ، مع الرضاء عن هذا النشاط واعتباره سرا لا يحق لأى منهم التدخل فيه ، بما يحمل على اغراء المراهقين بالاندفاع وراء غرائزهم ، ويعرضهم بالتالى للأمراض الفتاكة التى تنتقل عن طريق الاتصال الجنسي[1] .

ثانياً : فيما يتصل بالعلاقات الجنسية :

لا يقر الإسلام أى علاقة جنسية بغير طريق الزواج الشرعي، الذى يقوم بين الرجل والمرأة، بشروط وأوضاع لا يؤتى ثماره دونها ، ويضع أغلظ العقوبات على الزنا واللواط، ولو تم بالرضا من الرشيدين ، ويمنع المقدمات التى تفضى إليهما كالخلوة والاختلاط الفاجر، بل إنه ليأمر كلا من الذكر والأنثى بغض بصره حتى لا ينساق إلى طريق الغواية والضلال[2]، وما ذلك كله إلا لأن الإسلام يحرص - كما حرصت سائر الأديان السماوية - على استقرار المجتمع على الطريق القويم الذى يكفل له القوة والمتعة صحيا ونفسيا واجتماعيا .

ومن ثم فإن مما يناقض الإسلام أن يسمح بأشكال اقتران أخرى غير الزواج ، كما تشير إلى ذلك الفقرة الخامسة من المادة الخامسة من المشروع ، أو بتمتع الأفراد غير المتزوجين بحياة جنسية مرضية ، كما تشير إلى ذلك المادة السابعة فى فقرتيها الأولى والثانية ، أو أن تكون خدمات الرعاية التناسلية والجنسية - بما فى ذلك تنظيم الأسرة - فى متناول الجميع دون اشتراط الزواج كما توحى بذلك المادة السابعة فى فقراتها الثالثة والرابعة والسادسة والثامنة .

---

(١) انظر على سبيل المثال المادة السابعة من مشروع برنامج عمل المؤتمر فى فقراته الثانية والثالثة ، والثالثة والأربعين والخامسة والأربعين .

(٢) انظر الآيتين ٣٠ ، ٣١ من سورة النور .

ثالثاً : فيما يتصل بالإجهاض :

إن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف قد انتهى إلى أن الحمل محرم إسقاطه مطلقا ، (ولو نتج الجنين عن زنى أو اغتصاب)، إلا إذا كان هناك سبب طبى يقتضى المحافظة على حياة الأم – لأنها أصلٌ وحياتُها متحققة ، وقد استقرت حياتها ، ولها حظ مستقل فى الحياة ، كما أن لها وعليها حقوقا ، فلا يضحى بالأم فى سبيل جنين لم تستقل حياته بعد ، بل هو فى الجملة كعضو من أعضائها[1] ، ومن ثم فإن إباحة الإجهاض فى غير الحالة الموضحة آنفا ، يتناقض مع حكم الإسلام ولو كان تحت مسمى تنظيم الأسرة أو صحة الإنجاب أو الصحة الجنسية[2] .

ومجمع البحوث الإسلامية إذا كان قد خص بالذكر ما يتصل بالمسائل الثلاث السابقة، فذلك لا يعنى ان المشروع قد برىء من مخالفة الشريعة فيما عداها فقد سرت فيه بعض العبارات التى توحى بأمور غير مقبوله ، من أمثلة المساواة بين الذكر والأنثى فى حقوق الميراث الذى تشير إليه الفقرة السابعة عشرة من المادة الرابعة ، وإلزام الحكومات والمنظمات غير الحكومية برفع الحد الأدنى لسن الزواج مع إتاحة بدائل تغنى عن الزواج المبكر ، كما جاء فى الفقرة الثانية والعشرين من المادة الرابعة بما قد يفهم على أنه دعوة إلى تسهيل الدعارة .

ومن ثم فإن المجمع ليدعو الدول المؤتمرة إلى تعديل صياغة المشروع وضبط عباراته حتى لا تشتمل – ولو فى مفهومها – على ما يخالف ما أمرت به الشريعة الإسلامية – وحرصت عليه سائر الشرائع السماوية – وثبت فى قيم الأمم الإسلامية على مختلف العصور. ويلفت النظر بشكل خاص إلى ما حوته المادة السابعة بفقراتها المتعددة، وما

---

(١) انظر قرار مجمع البحوث الإسلامية الصادر فى جلسته رقم ٧ دورة ٣٠ المنعقدة بتاريخ ١٩ شوال ١٤١٤هـ الموافق ٣١ مارس ١٩٩٤م.

(٢) انظر على سبيل المثال ما تشير إليه المادة السابعة فى فقراها الثالثة والرابعة والسادسة والثامنة.

انساب منها إلى سائر أجزاء المشروع من عبارات واصطلاحات تستلزم التغيير ضبطا للصياغة وإحكاما لها ، ويؤكد المجمع فى هذا الشأن أنه يرفض كل ما يخالف الشريعة الإسلامية ، ويوصى بالتحفظ عليه حتى لا تُلزم الأمة الاسلامية بشيء منه[1].

شيخ الجامع الأزهر الشريف

رئيس مجمع البحوث الإسلامية

جاد الحق على جاد الحق

(١) مجلة الازهر حـ ٤ / ٧٦ ربيع الآخر ١٤١٥ هـ سبتمبر ١٩٩٤ م، ص ٤٤٣، ص ٤٤٥.

بيان من جبهة علماء الأزهر

بشأن

برنامج عمل مؤتمر السكان والتنمية الذى يعقد بالقاهرة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن تبع هداه.

اطلعت جبهة علماء الأزهر على البيان الذى اصدره «مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف» فى شأن برنامج عمل مؤتمر السكان والتنمية الذى يعقد بالقاهرة فى المدة من ٥ - ١٣ سبتمبر ١٩٩٤.. وعلى البيانات الأخرى لبعض هيئات الأزهر ، وعلى برنامج عمل المؤتمر (فى نسخته باللغة العربية) .

والجبهة أداء منها لواجب الأمانة الدينية والعلمية ، وانطلاقا من واجباتها التى نصت عليها لائحة تأسيسها منذ إنشائها فى سنة ١٩٤٦، والتى منها العمل على إعزاز الإسلام والمسلمين ، وتوجيه القوانين فى مصر الوجهة الاسلامية التى تتفق مع «الإسلام» دينها الرسمي، ونشر الثقافة الإسلامية بكل الطرق المشروعة - تصدر هذا البيان بلاغا منها لكل المسلمين والمتدينين .

إن برنامج عمل المؤتمر فى بعض بنوده يمثل تهديدا لمقومات الأمة الإسلامية وقيمها الاصلية الراسخة ، مما يعنى التدرج إلى طمس الهوية الذاتيه لكل المجتمعات النامية بما فيها المجتمعات الإسلامية .

وقد رأت الجبهة ان تساند وتؤكد ما صدر عن مجمع البحوث الإسلامية وبعض هيئاته من بيانات ومناشدات .

وفى الوقت نفسه تعتز الجبهة بما صدر عن السيد رئيس الجمهورية من تصريح يؤكد بما لا يدع مجالا للشك أن مصر لا يمكن أن توافق على ما يخالف الشرائع السماوية ، وهذا التصريح معدود فى حسنات سيادته إن شاء الله .

وتطرح الجبهة عددا من الأمور والمسائل التى تناولها برنامج المؤتمر :

أولاً : أشار البرنامج إلى الربط بين الزيادة السكانية والفقر على انه نتيجة حتمية لها ، وفى مواجهة ذلك تبرز جبهة علماء الأزهر ما قررته العقيدة الإسلامية من أن الله - عز وجل - قَدّر الأقوات وضمن الآرزاق لكل ما يدب فى الأرض، ولكن واقع ما تعانيه البشرية الآن من فقر وحرمان مرده الأساسى إلى ظلم الإنسان لأخيه الإنسان واستغلاله إياه، فضلا عن الاستهلاك المفرط فى البلاد الغنية واستنزافها موارد البلاد النامية .

ثانياً : حتم البرنامج ضرورة حماية جميع اشكال الأسرة ومنها الأسر التى تنشأ بين رجلين أو بين امرأتين أو بين رجل وامرأة بدون زواج شرعي.

وجبهة علماء الأزهر تعلن أن الإسلام لا يقر مفهوم الأسرة إلا إذا نشأت بين زوجين بعقد شرعي يتوافر فيه التراضى وإقامة حدود الله .

ثالثاً : توجه البرنامج الى رفع ولاية الآباء على أبنائهم وبناتهم من حيث الرقابة الأخلاقية، والتربية السوية ، وحماية المراهقين والمراهقات عند تعاطيهم الجنس ، والاحتفاظ بسلوكياتهم الشخصية فى سرية عن آبائهم ، وتنبه الجبهة إلى أن تعاليم الإسلام تجعل الرجل راعيا فى أهله وهو مسئول عن رعيته ، وليس من الرعاية المسئولة تركهم للشذوذ الجنسى .

رابعاً : دعا البرنامج إلى ضرورة المساواة بين الذكر والأنثى فى الميراث ، وهذا أمر قد حسمه القرآن الكريم وحكم فيه حين قال : (لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ) ولا تنازل عن حكم الله ومفاده - ليعلم القاصى والدانى - التزام الرجل بالنفقة والقوامة ، وهى قوامة مسئولية وليست قوامه تسلط .

خامساً : روّج المشروع لما أسماه (الإجهاض الآمن) من منطلق صحة التكاثر ، وإننا نؤكد على حكم الإسلام فى تحريم الإجهاض ، واعتباره عدواناً على نفس بشرية تقررت

العقوبة الشرعية على اقترافه ، ما لم يكن لضرورة معتبرة شرعاً لإنقاذ الأم الحامل من ضرر محقق يقرره الطبيب المعالج وليس أحد غيره .

سادساً : دعا البرنامج إلى رفع الحد الأدنى لسن الزواج ، والإسلام من تعاليمه تشجيع الزواج المشروع عند قيام القدرة والاستطاعة، وذلك من منطلق حرصه على قيام مجتمع العفة والطهارة ، وتصفية ثغرات الفساد والشذوذ الجنسي، بحيث لا يوجد فى المجتمع المسلم عَزَبٌ ولا عانسٌ، وذلك فضلا عن ان تأخير سن الزواج يؤدى إلى زيادة الأطفال اللقطاء، وانتشار الاقتران غير المشروع الذى يؤدى إلى ضياع حقوق النساء والأطفال وتفاقم مشكلاتهم .

وإن جبهة علماء الأزهر وهى تضع هذه الحقائق تحت سمع الأمة وبصرها - تأمل من ممثلى الدول الإسلامية الأعضاء فى هذا المؤتمر ضرورة التصدى لكل ما يناهض قيم أمتها الحضارية ، ويمس معتقداتها الدينية ، وتهيب بحكومة مصر - بما لها من دور ريادى - أن تحشد إلى جانبها من يناصرون الفضيلة ومجتمعاتها[1] .

والله ولى التوفيق

(١) مجلة الأزهر حـ ٧٦/٤، ربيع الآخر ١٤١٥هـ / سبتمبر ١٩٩٤م، ص ٤٤٧ و ص ٤٤٨.

وبعد ، فقد رأى مجلس إدارة الجبهة فى اجتماعه بتاريخ ٦ من ربيع الأول ١٤١٥ هـ الموافق ١٤ من أغسطس ١٩٩٤م إصدار هذا البيان ، وهو البيان الأول والوحيد الذى تصدره الجبهة فى شأن الفتاة المسلمة ، بمناسبة القرار المنسوب إلى السيد الاستاذ الدكتور وزير التعليم خاصا بالزى المدرسي.

ثم أما بعد ،،

فإن الإيمان بالإسلام دينا ، وبالقرآن وحياً ، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً يقتضى التسليم والرضا بحكم الله ، ولا سيما إذا كان نصاً صريحاً لا يحتمل التأويل، قال تعالى :

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (سورة النور)

وقال سبحانه : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ (سورة الأحزاب)

وقد جاء القرآن الكريم بالأمر الصريح للرجل وللمرأة أن يغض كل منهما البصر ويحفظ الفرج ، وزاد بالنسبة للمرأة ألا تبدى زينتها لغير محارمها إلا ما ظهر منها - وهو عند الجمهور الوجه والكفان - كما طلب منها أن تغطى رأسها بالخمار فقال تعالى : ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ (سورة النور)

وفى هذا التعبير القرآنى ما يعنى الامتثال والخضوع من قبل المؤمنين والمؤمنات ، فهم بمجرد أن يقول لهم الرسول ﷺ ذلك فانهم يغضون البصر ويحفظون مواطن العفة، وقد بدأ الله عز وجل بزوجات الرسول ﷺ وبناته قبل نساء المؤمنين حين أمرهم بأن يرخين ثيابهن ستراً لسيقانهن وأرجلهن فقال سبحانه : (الأحزاب : ٥٩)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ﴾

وبعد أن نبه الناس - كل الناس - إلى نعمة الستر واللباس أوصى بتقوى القلب ليتحقق للإنسان الشكل الوقور والجوهرُ المستنيرُ من فتن الشيطان ومحاولاته المستميتة فى إغراء بنى آدم وحثهم على التعرى والتكشف وإظهار العورات المؤدى إلى فساد الأخلاق وشيوع الفاحشة فقال سبحانه :

﴿ يَبَنِى ءَادَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَنُ كَمَا أَخرَجَ أَبَوَيْكُم مِنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِباسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءتِهما ﴾ (الأعراف : ٢٧)

وأمام هذه النصوص الواضحة استقر فى ضمير الأمة المسلمة ، وفى سلوكها على مدى الأجيال أن هذا أمر معلوم من الدين بالضرورة لا يجادل فيه مسلم يدين بكتاب الله. واعتماداً على هذه النصوص وغيرها أصدرت لجنة الفتوى بالأزهر بيانها لضرورة الالتزام بشرع الله فى ستر الرأس والصدر والسيقان بثياب لا تكشف ولا تصف لكل فتاة بلغت سن المحيض ، وبأن هذا الأمر لا يحتاج إلى إقرار من ولى الأمر أو إذن من إدارة التعليم ، إذ أن الآمر به هو رب العالمين ، ولا يعقل أن يستأذن عبد فى أمر صدر من ربه ، ثم إنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق.

وما كان للجنة الفتوى أن تخفى حكم الله ، أو تقول على الحرام حلالاً، وإلا دخلت فيمن يفترى على الله الكذب، وفيمن يكتمون ما أنزل الله .

وبإزاء ما شغل به بعض الكُتاب أنفسهم وأقلامهم ، قاصدين الخوض فى هذه المسألة على غير وجه من الحقّ والحقيقة، حتى إنّ عدداً منهم نفخ فيها نار الفتنة والإرهاب، وهؤلاء ندعوهم إلى أن يراجعوا أنفسهم وموقفهم من الله وآياته ، وأن يفيئوا إلى الحق - والحق أحق أن يتبع - ونسأل الله لنا ولهم وللجميع الهدى ﴿ وَيَزِيدُ اللهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدَى ﴾ (مريم : ٧٦) والله ولى التوفيق (١)

تعقيب وإيضاح لفضيلة الإمام الأكبر

على ما نشرته ... أكتوبر

نشرت مجلة أكتوبر فى عددها الصادر يوم الأحد ٧ من أغسطس ١٩٩٤ م مقالا بعنوان (هل هى خومينية جديدة؟) تحدث فيه الكاتب عن البيان الذى نشرته إحدى الصحف عن قرار وزير التعليم بخصوص الزى المدرسى ورأى لجنة الفتوى فيه .

وبصرف النظر عن رأى الكاتب - فى هذه الصحيفة وفى الاتجاه الدينى وفى الحجاب، الذى نشره من قبل ونشرت أراء تعارضه - فقد تناول فى آخر المقال رأى لجنة الفتوى ، ووصفه بأنه خومينية جديدة آتية لا محالة «أى أمام دولة دينية يتحكم فيها رجال الدين ويفرضون على مجتمعنا ما يشاءون عن طريق الفتاوى فتستطيع لجنة الفتوى بالأزهر أن تفرض وصايتها على نظامنا السياسى وترسم له ما تراه متفقا مع الدين وما تعتبره مخالفا للدين.. فتخضع الدوله لهذه الفتوى وتكون الخطوة التالية أن يريح رئيس لجنة فتوى الأزهر رئيس الدوله من مكانه ويمارس سلطاته الدستورية من خلال الفتاوي، ثم تصدر لجنة الفتوى بالأزهر فتوى بإعادة مجتمعنا إلى الوراء أربعة عشر قرنا ، فإذا لم يعد اعتبر كافرا».

ونود أن يعرف الجميع أن علماء الأزهر الشريف حين يبينون للناس حكم الدين فيم يجد من الأمور إنما ينطلقون فى ذلك من عدة منطلقات :

المنطلق الأول دينى ، حيث فرض الله عليهم الدعوة الى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر كما قال سبحانه : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (سورة آل عمران : ١٠٤)

وكما قال «والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » سورة التوبة : ٧١ .

والمنطلق الثانى وطني، فهم يؤدون واجبهم نحو الوطن العام وهو ما تعيش فيه الأمة الإسلامية فى مشارق الأرض ومغاربها قال تعالى : «وإن هذه أمتكم أمةً واحدة وأنا ربكم فاعبدون» (سورة الأنبياء: ٩٢) ونحو الوطن الخاص وهو مصر ذات المركز الممتاز فى العالم ، والذى اختاره الله ليكون فيه الأزهر الشريف الذى ربط به العالم الاسلامى كله .

والمنطلق الثالث دستورى ، حيث إن الدستور المصرى جعل الدين الإسلامى هو الدين الرسمي، فهم يباشرون مهمتهم الدينية فى ظل الدستور .

والمنطلق الرابع قانوني، حيث جاء فى القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ م أن الأزهر هو الهيئة العلمية الإسلامية الكبرى التى تقوم على حفظ التراث الاسلامى ودراسته وتجليته ونشره ، وتحمل أمانة الرسالة الاسلامية إلى كل الشعوب وان شيخ الأزهر الشريف هو الإمام الأكبر وصاحب الرأى فى كل ما يتصل بالشئون الدينية .

من هذه المنطلقات أعلن علماء الأزهر الشريف ويعلنون وسيظلون يعلنون حكم الدين فى كل ما يجد من الامور حتى لا تحق عليهم اللعنة التى حقت على من فرّطوا فى ذلك من الأمم السابقة، وحتى يؤدوا الضريبة الواجبة عليهم نحو الوطن ، ويحافظوا على شخصيتهم المتميزة التى امتازوا بها منذ أكثر من عشرة قرون ، يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله .

والتاريخ على ذلك خير شهيد .

إن الأزهر الشريف حين ينشر هذا البيان - كما يخول له القانون - «يدفع بالتى هى أحسن الاتهامات التى وجهت إليه فى المقال المشار إليه» يعلن ما يأتى :

١ - إن لجنة الفتوى جزء من الأزهر الشريف مسئول عن كل ما يصدر عنها من فتاوى وعلماؤها موثوق بعلمهم وأمانتهم وإخلاصهم، ورئيسه معروف بحكمته واعتداله وهو محل ثقة فى كل الأوساط التى يعمل بها فالاتهام الوارد فى المقال دسيسة رخيصة .

٢ - يستنكر الأزهر الشريف ما جاء فى المقال المذكور شكلا وموضوعا ، أسلوبا ومادة ، فالأزهر الشريف فيما يصدر عنه من أحكام دينية هو متخصص فيها يعرض ولا يفرض، ويعرف لكل إنسان قدره ، ويحترم اختصاصه ، مؤمناً بتوزيع المسئولية وحتمية التعاون ، ورجاله مشتركون فى المجالس التشريعية التى ترسم سياسة الدولة بما يتفق مع الشريعة كما ينص الدستور ، الذى لا يعد الرجوع إلى الشريعة رجوعا إلى الوراء أربعة عشر قرنا ، فكيف يتهم الأزهر وحده بذلك؟ وهو يحارب التكفير العشوائى ، ويصحح الأفكار التى تؤدى إلى إنحراف السلوك .

٣ - إن المسئولين فى أهم القطاعات يصرحون برفض كل فكر يأتى من الخارج ويكون معارضا للشريعة ، وأولى أن يكون هذا الرفض لأى فكر ينبع من الداخل احتراما للدستور ، وتوجيها لحرية الرأى حتى لا نضل الطريق.

٤ - الأزهر الشريف فى دعوته إلى الحق يلتزم الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتى هى أحسن دون عنف أو إكراه أو إرهاب . وفى بيانه للأحكام الشرعية يتحرى الصدق ويتخير الرأى الاجتهادى المناسب ، بعيدا عن الظنون والخيالات ، وينشره بأسلوب نمطى ليس فيه إثارة ولا إسفاف ولا اتهام بالباطل فكل إناء بالذى فيه ينضح ، وإناؤه بحمد الله نقى طاهر نزيه .

٥ - إن حب الوطن يفرض على كل مواطن ، بالقدر المناسب والجهد المستطاع أن يرشد غيره إلى الخير ، فالدين النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم كما صح فى الحديث الشريف ، وأن يضئ شمعة نتفادى بها العقبات التى تعترض مسيرة الإصلاح ، فالتخاذل والسلبية والتضليل وتزيين الباطل وإيثار المصلحة الشخصية كل ذلك خيانة صريحة للوطن لا تخفيها المسوح والشعارات ، فالحق أبلج والباطل لجلج ، وستبدى الأيام كل مجهول، والله بكل شيء عليم .

وبعــــد،،

فلنتق الله فى ديننا ووطننا ولنتعاون جميعا على ما فيه الخير ، ولنتأدب بأدب الإسلام فيما نقول ونفعل ، ولنعلم - كما صح عن الرسول ﷺ أن من أراد الله به خيرا جعل له صاحبا يأمره بالخير ويحضه عليه ، إن نسيَ ذكرهُ، وإن ذكر أعانه ، ولنضع أمام أعيننا قول الله سبحانه ﴿ مَنْ عَمِلَ صَلِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّمٍ لِلْعَبِيد ﴾ (سورة فصلت : ٤٦)

وقوله : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ (سورة الأحزاب : ٥٨)

نرجو الله أن يقينا شر الفتن ما ظهر منها وما بطن ، وأن يهدينا جميعا سواء السبيل إنه نعم المولى ونعم النصير [1]..

مجلة الأزهر العدد السابق من ص ٤٥١ إلي ص ٤٥٣ .

من الأدب الإسلامي

حقاً ... إن من الشعر لحكمة ، وإن من البيان لسحراً وقد تناول الأدب الإسلامي الأسرة والمرأة المسلمة في شعره ونثره .

وأحب هنا ذكر بعض أبيات من الشعر تتعلق بهذه القضايا التي تدور حولها هذه القصص في وقت نحن أحوج ما نكون فيه إلي إصدار أعداد كبيرة من الكتب تصور بدقة بعض الأسر المسلمة ، وما ان لها من أثر كبير في التاريخ الإسلامي لأن حياتهم كانت كلها طلبا للكمال ونشراً للفضيلة، وإذا وجدت الفضيلة في مجتمع كان مصيره إلى السعادة في الدنيا والآخرة .

وإذا ضاعت الفضيلة من المجتمع فقد ضاع منه الإيمان وسرى فيه الفساد والانحلال ، وعلت فيه الرذيلة، ونكست أعلام الفضيلة ، فكان مصيره إلى الهلاك ، وله في الآخرة عذاب النار. يقول الله تعالى (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً)[1].

والقصيدة التي معنا نشرتها مجلة الوعي الإسلامي في عددها (٢٤٣) الصادر في ربيع الأول ١٤٠٥هـ / ديسمبر ١٩٨٤م ص ١٠٦.

---

(١)سورة الإسراء الآية ١٦.

الحجاب

للأستاذ : محمود مفلح

أسدلي يا ابنة الكرام الحجابا　　　وافخري فيه مظهرا ولبابا
إن فيه العفاف والطهر والحشمة والمجد والتقي والثوابا
لا تراعي مما ترين من الزيف فليس السراب الا سرابا
انت غصن في دوحة الحق فواح زكي الثمار طابت وطابا
أنت بنت الإسلام فيه تغنت　　　وفي ظله سموت شهابا
كم تحديت في الطريق صعابا　　　وتحملت في الطريق عذابا

☆ ☆ ☆

زعموا انما التقدم في العري فراحوا يمزقون الثيابا
زعموا انما الحياة فتاة　　　تتغاوي وشيخة تتصابي
فاستشاطوا علي الطريق جنونا　　　وجروا خلف امهم اذنابا
وتباروا في الموبقات وقالوا　　　انه العصر لا يطيق حجابا
فتري المنزل المحصن وكرا　　　وتري السيد المطاع غرابا
وغدا المسرح العجيب ديوكا　　　تتباري ومخرجا يتغابي
وتعرت تلك الشقية حتي　　　شربت من سمومهم اكوابا
مزقت برقع الحياء وراحت　　　تشرب العمر غصة وعذابا
انكروا ان تكون ربة بيت　　　وتمادوا فانكروا الإنجابا !
فتولت عن الزواج وراحت　　　في جنون تحطم الأبوابا
وتلاقت مع الصبي عراكا　　　لم تقدر مع العراك حسابا
وغدت تذكر الابوة والأصل وتلغي من عرفها الآدابا
حسبت انها المدار وان الكون يجري من حولها إعجابا
والشياطين حولها ترقب الصيد　　　وتجري اليه ظفرا ونابا

ثم جاء الخريف يصبغ فوديها ... ويطوي مع الشباب شبابا

فإذا بالنجوم ترحل عنها ... وإذا بالمني تزول سرابا

خمدت وقدة الشباب فباتت ... تشتكي السيف تارة والقرابا

صرخت في العراء صرخة يأس ... وتمنت لو تستحيل ترابا

كلهم واقفون حول بقاياها وكل قد هيأ الاسبابا

* * *

إيه يا دوحة العقيدة كوني ... للضحايا المعذبين مآبا

وامنحيهم من اليقين شعاعا ... وامنحيهم من الهدي محرابا

انها رحلة الشقاء ولكن ... رحمة الله لا تغلق بابا

وقال حافظ إبراهيم :

الأم مدرسةٌ إذا أعْدَدْتَها ... أعْدَدْتَ شعباً طَيِّبَ الأعْرَاقِ

الأم رَوْضٌ إن تَعَهَّدَهُ الحَيَا ... بالرِّيِّ أوْرَقَ أيَّمَا إيرَاقِ

الأمّ أُسْتَاذُ الأسَاتِذَةِ الأُولى ... شَغَلَتْ مَآثِرُهُمْ مَدي الآفَاقِ

رَبّوا البَنَاتِ على الفضيلة إنّها ... في الموقفينِ لَهُنَّ خَيْرُ وَثَاقِ

وعليكم أن تستبينَ بَنَاتُكُمْ ... نُورَ الهُدَى وعلى الحياءِ الباقِي

ديوانه ص ٢٨٢ ص ٢٨٣ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٧.

الزى المفروض على طالبات المدارس
معارض لأمر الله شكلاً وموضوعاً
وتشريع مضاد لما أمر الله عز وجل به

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد المرسلين وآله وأصحابه أجمعين وبعد :

فقد اطلعت لجنة الفتوى بالجامع الأزهر على نص القرار ١١٣ الصادر فى ١٧/٥/١٩٩٤م بشأن مواصفات الزى المدرسي.

وعلى قرار المجلس الشعبى المحلى لمحافظة القليوبية تحت رقم ٢٦٨ بتاريخ ٢٩/٦/١٩٩٤م

وعلى النشرة رقم ٤٧ الصادرة بتاريخ ١٢/٧/١٩٩٤م من مكتب وكيل وزارة التربية والتعليم بمحافظة القليوبية .

وعلى النشرات الصادرة من إدارة التعليم الابتدائى ، وإدارة التعليم الإعدادى وإدارة التعليم الثانوى بمديرية التربية والتعليم ببنى سويف.

وقد حوى بعضها تصويرا لنماذج الزى المدرسى فى المراحل الثلاث تطبيقا للقرار الوزارى المرقوم .

وعلى صورة الرسالة المرفوعة الى السيد الرئيس / محمد حسنى مبارك رئيس الجمهورية من السيدة إفراج الحصرى (ياسمين الخيام) وما أرفق بها ، والموجهة صورتها إلى الأزهر الشريف.

وتبين للجنة الفتوى ما يلى :

أولاً : نصت المادة الألى من قرار الاستاذ الدكتور وزير التربية والتعليم المشار إليه على ما يأتى :

« يلتزم تلاميذ وتلميذات المدارس الرسمية والخاصة بارتداء زى موحد وفقاً للمواصفات الآتية.... »

وتحت البند ثانياً من هذه المادة الحلقة الإعدادية « ٢ » : التلميذات جاء ما يلى :

- بلوزة بضاء .

- مريلة من قماش تيل (دريل) بحمالات باللون الذى تختاره المديرية التعليمية .

- فى فصل الشتاء يمكن أن تكون المريلة من قماش صوف، كما يمكن أن ترتدى التلميذة بلوفرا أو (جاكت) بلون المريلة ، ويجوز استبدال المريلة بقميص وجونلة بطول مناسب.

- حذاء مدرسى وجورب بلون مناسب للزى المختار.

- يمكن بناء على طلب مكتوب من ولى الأمر ان ترتدى التلميذه غطاء للشعر فقط لا يحجب الوجه باللون الذى تختاره المديرية التعليمية .

وتحت البند ثالثا من المادة ذاتها المرحلة الثانوية العامة وما فى مستواها تحت رقم ٢ : التلميذات جاء ما يلى :

- بلوزة بيضاء .

- جونلة تيل بطول مناسب بلون تحدده المديرية التعليمية .

- فى فصل الشتاء يمكن أن تكون الجونلة من الصوف كما يمكن أن ترتدى التلميذة (بلوفر) أو (جاكت) بلون الجونلة .

- يمكن بناء على طلب مكتوب من ولى الأمر أن ترتدى التلميذة غطاء للشعر لا يحجب الوجه باللون الذى تختاره المديرية التعليمية .

- حذاء مدرسى وجورب بلون مناسب للزى المختار.

ثانيا: ونصت المادة الثالثة على ما يأتى :

«لا يسمح لأى تلميذ أو تلميذة يرتدى زيا مخالفا لما ورد بالمادة الأولى من هذا القرار بدخول المدرسة والانتظام فى الدراسة ... الخ»

ثالثاً : تنص المادة الرابعة على ما يأتى :

(مديريات التربية والتعليم والادارات التعليمية بالمحافظات مسئولة مسئولية كاملة عن متابعة تنفيذ ما جاء بهذا القرار) ..

رابعاً : جاء فى قرار المجلس الشعبى المحلى لمحافظة القليوبية رقم ٢٦٨ بتاريخ ١٩٩٤/٦/٢٩م تحت البند رابعاً فقرة ٥ ما يلى :

«يمكن - وبناء على طلب مكتوب من ولى الأمر - أن ترتدى التلميذة غطاء للشعر فقط باللون الرمادى بشرط ألا يحجب الوجه ، ويحظر استخدام الخمار والنقاب» وهذا تفسير دقيق لقرار الوزير .

خامساً : فى الرسوم التوضيحية المرفقة والخاصة بالزى المدرسى الصادر من الادارات التابعة لمديرية التربية والتعليم بمحافظة بنى سويف يظهر بوضوح أن الرسوم الخاصة ببنات - الإعدادى - والثانوى (وما فى مستواه) تكشف عن الرقبة العنق وفتحة الصدر وعن جزء من الساقين ولم ترسم فيها الرأس .

** وحين ننظر فى هذه التعليمات التى تضمنها القرار الوزارى ١١٣ وتوابعه فى ضوء تعاليم الاسلام وشريعته نجد ما يلى :

أولاً : أن نصوص القرآن ونصوص السنة النبوية تقضي بأن المسلمة متى بلغت المحيض، وكانت خارج بيتها ، لا يجوز لها كشف شيء من جسمها سوى الوجه والكفين . كما تقضي هذه النصوص بتحريم التبرج، وبأن يكون الثوب ساترا للجسد، غير ضيق أو لاصق به ، أو محدد لقسماته وألا يكون شفافا يكشف عن شيء من ذات الجسد، وألا تكون بوصف لافت للنظر في ذاتها أو في ملابسها تدخل به في حكم التبرج المنهي عنه ، وأن يكون غطاء الرأس ساترا بحيث لا يظهر سوى الوجه بحده المعروف طولا وعرضا وان يمتد غطاء الرأس بحيث يغطي العنق ، والرقبة ، وفتحة الصدر مما يلي الرقبة وهو المقصود بلفظ الخمار الوارد في كتاب الله عز وجل .

وهذا ثابت بالكتاب، والسنة ، والإجماع .

أما الكتاب ففي سورة النور قول الله – تعالى – : ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ (الخ الآية : ٣١)

وفي سورة الأحزاب قول الله تعالى : ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾.

ومن السنة المطهرة :

ما رواه أبو داود عن عائشة – رضي الله عنها – أن أسماء بنت أبي بكر دخلت على النبي ﷺ في ثياب رِقَاقٍ ، تشف عن جسدها ، فأعرض عنها النبي ﷺ وقال : «يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها إلا هذا ، وهذا وأشار إلى وجهه وكفيه»..

وما رواه البخاري ومسلم عن ابن عباس (رضي الله عنهما) : أن النبي ﷺ أردف خلفه (على دابته) الفضل بن العباس – يوم النحر – وكان رجلاً حَسَنَ الشعر ، أبيض ،

وسيماً . فجاءت امرأة من (خَثْعَم) تستفتى رسول الله ﷺ فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه ، فجعل رسول الله ﷺ يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر ، فعاد الفضل ينظر إليها ثلاث مرات ، والرسول ﷺ يحول وجهه ، فقال العباس لرسول الله ﷺ : لِمَ لَوَيْتَ عُنُقَ ابن عَمّكَ؟ فقال ﷺ : «رأيتُ شاباً ، وشابّةً فلم آمَنْ الشيطانَ عليهما» .

وكل من هذين الحديثين واضح الدلالة على جواز كشف الوجه والكفين من المرأة ، وقد أجمع المسلمون على هذه الأحكام منذ عهد رسول الله ﷺ إلى اليوم ، وأصبحت معلومة من الدين بالضرورة لم ينازع فى ذلك أحد من العلماء المعتد بأقوالهم وتغطية الوجه والكفين على هذا عمل اختيارى خاضع للظروف ، والعرف والعادة غير مفروض ، وغير مرفوض فمن شاءت فعلته ، ومن شاءت تركته ، ويكون فعله خيراً إذا غلب على الظن وقوع الفتنة من جراء تركه وأصبح درء المفسدة مطلوبا تبعا لذلك .

ثانياً : من هذا يظهر جليا أن القرار الوزارى رقم ١١٣ لسنة ١٩٩٤م فى بعض نصوصه وما تبعه من قرارات أصدرتها الجهات المنفذة قد جاءت مخالفة للشريعة الإسلامية من وجوه حسبما يلى :

الوجه الأول :

النهى عن فعل ما أمر الله به ، فقد أمر الله النساء المسلمات أن يدنين عليهن من جلابيبهن، كما أمرهن أن يضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وهو «الوجه والكفان» فقط.

وقد خالف ذلك كله القرار الوزارى المرقوم ، والقرارات المنفذة له حيث منع المسلمات من تغطية رؤوسهن وأعناقهن ، وصدورهن وسيقانهن.

وفرض عقوبة على كل مسلمة تلتزم بأمر الله فى هذا الشأن ، وذلك بحرمانها من الدراسة ، ومنعها من دخول المدرسة بنص المادة الثالثة من ذات القرار الذى جاء - بهذا - معاقبا على طاعة أوامر الله مشجعاً على عصيانه تعالى .

الوجه الثانى :

لقد جعل هذا القرار العصيان لأمر الله هو القاعدة ، وطاعة أمر الله استثناء من القاعدة ومشروطاً بأن يتقدم ولى أمر الطالبة بمكتوب يعلن فيه عن غبته فى التزام ابنته بأمر الله - عز وجل - وهذا قلب للأوضاع ويجعل تنفيذ حكم الله مشروطاً باستئذان أحد خلقه.

الوجه الثالث :

أصبح كشف العنق ، والرقبه ، وفتحة الصدر ، وكشف الساقين مأمورا به قولا واحداً لا مجال فيه للاستثناء ، وتلك مصادمة واضحة لأمر الله - عز وجل - الصريح ، الواضح فى القرآن مناهضة لحكمه .

وقد جاء هذا القرار ، وتوابعه موجباً على الطالبات كشف العنق، والرقبة ، وفتحة الصدر ، كما يهدف إلى كشف جزء من الساقين حيث إنه عندما طرح مبدأ الاستثناء من القاعدة التى وضعها ، وربطها بتقديم طلب مكتوب جعل هذا الاستثناء مقصورا على غطاء الشعر فقط، ونص صراحة على تحريم ارتداء الخمار والنقاب فى قرار المجلس الشعبى المحلى لمحافظة القليوبية الذى يعتبر تطبيقا دقيقا للقرار الوزاري. ويتأكد هذا بالرسوم التوضيحية الواردة فى نشرات الإدارات التعليمية ، بمديرية التربية والتعليم ، بمحافظة بنى سويف.

هذا المسلك يبرز بالكلمة ، والصورة أن القرار ، وتوابعه معارض لأمر الله شكلا ، وموضوعا، كما يعد تشريعا بما لم يأذن به الله .

الوجه الرابع :

مواصفات الزى كما يظهر من القرار ، وتوابعه تؤكد أنه من قطعتين (بلوزة وجونلة ذات طول مناسب) والجونلة لا يمكن ارتداؤها إلا إذا تم شدها على الخاصرة ، وذلك من شأنه أن يبرز بعض قسمات الجسم وفى ذلك مخالفة شرعية أخرى ، بالإضافة إلى ما سبق.

ومن ثم فإن هذا القرار وتوابعه قد خالفت دستور مصر الذى ينص على أن دين الدوله الرسمى هو الاسلام ، والشريعة الاسلامية المصدر الرئيسى للتشريع .

هذا :

ولقد تسبب هذا القرار وتوابعه فى إثارة المشاعر ، وتهييج العواطف وإشاعة القلق، وقد قوبل من جماهير المسلمين ، والمسلمات بالاستنكار الشديد ، لكونه يفرض التكشف ، والسفور على النساء المسلمات مع ان الله أمرهن بالتصون ، والحشمة والعفاف.

وإذا كان الهدف توحيد الزى للفتيات الدارسات فى المدارس، فلا حرج فى هذه الغاية ولكن الوسيلة - على نحو ما جاء بالقرار، وتوابعه - غير مشروعه - لما سبق بيانه ، ومن القواعد العامة فى فقه الاسلام ان الخير لا يتوصل إليه بشئ محرم .

ومن أجل العمل على مرضاة الله والنزول عند حكمه ومن أجل استدامة الأمن والاستقرار والقضاء على أسباب القلق والفتن والاضطراب توصى لجنة الفتوى بالجامع الأزهر، بإعادة النظر فى هذا القرار حتى يتسق فى نصوصه ، وهدفه مع ما قضت به نصوص القرآن والسنة ، وإلغاء ما يخالف ذلك .

والله سبحانه الموفق للصواب ، [1]

لجنة الفتوى

بالجامع الأزهر الشريف

(١) مجلة الأزهر حـ٦٧/٣ ربيع الآخر ١٤١٥هـ / أغسطس وسبتمبر ١٩٩٤ من ص ٢٧٥ إلى ص ٢٧٩.

الترغيب فى النكاح وقصة الرهط

عَنْ أَنَسٍ بنِ مَالِكٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : جَاءَ ثَلاثَةُ رَهْطٍ إلى بُيُوتِ أزْوَاجِ النبى ﷺ يَسْألُونَ عَنْ عِبَادَةِ النبىَ ﷺ فَلَمَا أخْبِرُوا كَأنَهُمْ تَقَالوهَا ، فَقَالُوا وَأيْنَ نَحْنُ من النبى ﷺ قَدْ غَفَرَ اللهُ لَهُ مَا تَقَدَمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأخَر ، فَقَالَ أحَدُهُمْ : أمَا أنَا فَإنى أصَلى اللَيْلَ أبَداً ، وَقَالَ آخَرُ : أنَا أصُومُ الدهرَ ولاَ أفْطِرُ ، وَقَالَ آخَرَ : : أنَا أعْتَزِلُ النسَاءَ فَلاَ أتَزَوَجُ أبَداً ، فَجَاءَ رَسُولُ الله ﷺ إليهم فَقَالَ : أنْتُم الذين قُلْتُم كَذا وكَذا ، أمَا وَاللهِ إنى لأخْشَاكُم لله وَأتْقَاكُمْ لَهُ ، لكنى أصُومُ وَأفطِرُ ، وَأصَلى وَأرْقُدُ ، وَأتَزَوجُ النسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَتى فَلَيْسَ مِنى » [1]

الدراسة والتحليل :

القصة التى معنا ذكرها البخارى فى كتاب النكاح ، باب الترغيب فى النكاح وأورد الآية الكريمة ﴿ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ [2] وقد جاءت الآية بهذه الصيغة التى قال عنها العلماء إنها للترغيب ولقد أمر الله بنكاح الطيب مع ورود النهى عن ترك الطيب ونسبه فاعله إلى الاعتداء فى قوله تعالى ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُحَرِّمُوا طيبَاتِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا إنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾[3]

ولسنا هنا بحاجة إلى تفصيل القول فى حكم الزواج واختلاف العلماء فيه[4]، وذلك أنه لا خلاف فى أن الزواج سنة دينية ، ومأرب نفسي، وضرورة إجتماعية يتوقف عليها بقاء النوع ، وخلود الأثر ، وتنظيم الغريزة، واستقرار العاطفة .

---

(١) البخارى كتاب النكاح / باب الترغيب فى النكاح حـ ٧ / ٢
معانى المفردات :
الرهط اسم جمع لا واحد له من لفظه وهو من ثلاثة إلى عشرة.
تقالوها بتشديد اللام المضمومة أى استقلوها وعددها قليلة.
(٢) سورة النساء الآية ٣ .
(٣) سورة المائدة الآية ٨٧.
(٤) انظر ما كتبه ابن قدامه فى المغنى ، وكذا ابن حجر فى فتح البارى ٦/٩.

وهو إلى جانب هذا الوسيلة المشروعة لتكوين الأسرة وتربية الأبناء وتعاون الوالدين على صالح أسرة تكون عضواً فى بناء المجتمع الكبير ، فالزواج هو عماد الأسرة ، به تنشأ وتتكون ، وفى مهاده تحبو وتتطور ، ومن غذائه الروحى والمادى تنمو وتتهذب، ومن دوحته الباسقة تتفتح براعم سلالة جديدة من البنين والبنات تدرج فى المهد حينا ، ثم تخرج إلى الحياة رويداً رويداً لتؤدى رسالتها ، وتتحمل مسئوليتها .

ومن هذه البراعم الناشئة تتفرع أواصر القرابة والرحم وتمتد هنا وهناك لتظلل مجتمعا فسيح الجوانب ، متشابك المصالح .

ومن هنا تظهر أهمية الزواج فى الأسرة ، كما تظهر أهمية الأسرة للمجتمعات والأمم وقد أشار إلى ذلك القرآن الكريم فى قول الله سبحانه ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً واتقُوا اللهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ والأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾[1].

وسبب هذا الحديث على ما ذكر بعضهم «أن رسول الله ﷺ ذكر الناس وخوفهم فاجتمع عشرة من الصحابة فى بيت عثمان ابن مظعون ، فاتفقوا على أن يصوموا النهار ويقوموا الليل ولا يناموا على الفُرُش ولا يأكلوا اللحم ، ولا يقربوا النساء ويحبوا مذاكيرهم» فيحتمل أن يكون الرهط الثلاثة كانوا من هؤلاء وأنهم هم الذين باشروا السؤال فنسب ذلك إليهم بخصوصهم تارة ، ونسب تارة للجميع لاشتراكهم فى طلبه.[2]

فهؤلاء حينما جاءوا إلى بيوت أزواج النبى ﷺ يسألون عن عبادته سراً ، فعرفوها وهم يعرفون أن الله قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وكأنهم قد استقلّوا هذه العبادة وعَدّوْها قليلةً من وجهة نظرهم .

---

(١) سورة النساء ، الآية الأولى .

(٢) انظر فتح البارى حـ ٩ / ٦.

وأخذوا يبالغون فى تشدد فكروا فى فرضه على أنفسهم فقال أحدهم : أما أنا فأصلى الليل أبداً ، وقال الآخر كذا ، وقال الآخر كذا ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فجاءَ إليهم فحَمدَ الله وأثنى عَلَيْهِ وقال : ما بالُ أقوامٍ قالوا كذا وكذا ؟[1]

وهنا يعلنها رسول الله ﷺ وبكل تأكيد أنه أخشاهم لله وأتقاهم له ، فهو أخشى الخلق جميعا وأتقاهم لله تعالي، وهو مع كونه يبالغ فى التشديد فى العبادة أخشى لله وأتقى من الذين يشددون ، وإنما كان ذلك كذلك لأن المشدد لا يأمن الملل بخلاف المقتصد فإنه أمكن لاستمراره وخير الأعمال عند الله تعالى أدومها. وهو يصوم ويفطر ويصلى ويرقد ويتزوج النساء ، وهذه سنته ، وتلك طريقته ، والرغبة عن الشئ : الإعراض عنه إلى غيره ، وقد بين ﷺ أن من ترك طريقته وأخذ بطريقة غيره فليس منه ، ولمح بذلك إلى طريق الرهبانية التى ابتدعها المتشددون ولم يوفوا بما التزموه فما رعوها حق رعايتها. وطريقة النبى ﷺ الحنيفية السمحة فيفطر ليتقوى على الصوم ، وينام ليتقوى على القيام، ويتزوج لكسر الشهوة وعفة النفس وتكثير النسل .

وتلك قصة تبين لنا أثر الإيمان فى النفس البشرية وأن الصحابة لتأثرهم بتذكير رسول الله ﷺ ووعظه كانوا صادقين فى تقديم أنفسهم لله تعالى ، وقتل شهواتهم فأرشدهم نبى الإسلام ﷺ إلى هذا الخيط الرفيع الذى فيه رد على من يمنع استعمال الحلال ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الّتى أَخْرَجَ لِعِبادِهِ والطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ [2]

وجاءت القصة لتعطينا دروسا نافعة إذ فيها دلالة على فضل النكاح والترغيب فيه ، وتتبع أحوال الأكابر للتأسى بأفعالهم ، وأنه إذا تعذرت معرفته من الرجال جاز استكشافه من النساء ، وأن إظهار عمل البر ليس ممنوعا إذا أمن العبد الرياء ، وأن استعمال الحلال من الطعام والملابس والزينة ليس ممنوعا ، وأن الأخذ بالتشديد فى العبادة يفضى إلى الملل

(١) هكذا فى رواية مسلم ، السابق ص ٧.
(٢) سورة الأعراف الآية ٣٢ .

القاطع لأصلها ، وأن خير الأمور الوسط ، وأن العلم بالله ومعرفة ما يجب من حقه أعظم قدراً من مجرد العبادة البدنية. (١)

ونرى جمال التعبير ودقته ، وروعة الأدب فى سرد القصة فلم يذكر اسم الثلاثة ، وقد روى ابن حجر أنهم «على بن أبى طالب وعبدالله بن عمرو بن العاص، وعثمان بن مظعون» (٢)

وعظيم أدبهم فى قولهم «وأين نحن من النبى ﷺ »؟

ودقة التعبير فى قيام الليل وعدم الزواج بقوله «أبداً» ولم يقل ذلك فى صيام الدهر لأنه لا بد من فطر الليالى وكذا أيام العيد .

وفى قوله ﷺ «أنتم الذين قلتم كذا وكذا» فَعَيَّنَهُم مما يدل على أن ذلك كان خاصاً ولم يكن فى ملأ ، إذ حينما وقف ليخطب على الملأ كما فى رواية مسلم قال : «ما بال أقوام قالوا كذا؟» مع عدم يقينهم رفقا بهم وستراً عليهم وفى ذلك درس كبير فى فقه الدعوة إلى الله تعالي.

وفى قوله ﷺ : «إنى لأَخْشَاكُمْ لله وَأَتْقَاكُمْ لَهُ» أكد بإنّ واللام والجملة الإسمية للرد على ما بنوا عليه أمرهم من أن المغفور له لا يحتاج إلى مزيد من العبادة بخلاف غيره .

«لكنى أصوم وأُفطِرُ، وأصلى وأرقد، وأتزوج النساء» فى التعبير بـ (لكن) استدراك من شيء محذوف دل عليه السياق أى أنا وأنتم بالنسبة إلى العبودية سواء ، لكن أنا أعمل كذا وكذا .

وفى هذه الصياغة جمال وأى جمال.

---

(١) انظر فتح البارى ٩/٨ .
(٢) السابق ص ٦ .

مع صاحب الوليمة

عَنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَدِمَ عَبْدُالرَّحْمَنِ بن عَوْفٍ فَآخَى النبيّ ﷺ بَيْنَهُ وبَيْنَ سَعْدِ بنِ الرَّبِيعِ الأَنْصَارِي وَعِنْدَ الأَنْصَارِي امْرَأَتَانِ فَعَرَضَ عَلَيْهِ أَنْ يُنَاصِفَهُ أَهْلَهُ وَمَالَهُ فَقَالَ : بَارَكَ اللهُ لكَ فِي أَهْلِكَ، دُلُونِي عَلَى السّوقِ، فَأَتَى السّوقَ فَرَبِحَ شَيْئًا مِن أَقِط وَشَيْئًا مِنْ سَمْنٍ فَرَآهُ النَّبِيُّ ﷺ بَعْدَ أَيَّامٍ وَعَلَيْهِ وَضَرٌ مِنْ صُفْرَةٍ فَقَالَ : مَهْيَمْ يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ؟ فَقَالَ : تَزَوَّجْتُ أَنْصَارِيَّةً . قَالَ : فَمَا سُقْتَ ؟ قَالَ : وَزْنَ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ. قَالَ : أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ» [(١)].

الدراسة والتحليل :

القصة التي معنا رويت بعدة طرق ومنها رواية يحكيها بطلها وهو عبدالرحمن بن عوف، أبو محمد الزهري أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وهو من بني زهرة وأمه من بني زهرة واسمها الشفاء ، ولد بعد الفيل بعشر سنين ، وكن من السابقين إلى دخول الإسلام ، وهاجر الهجرتين ، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، وقال الزبير بن بكار : « صلى رسول الله ﷺ وراءه في غزوة » [(٢)] أقول وكفى بهذا شرفا وفخراً .

---

(١) البخاري كتاب النكاح / باب قول الرجل لأخيه «انظر أي زوجتي شئت حتى أنزل لك عنها» حـ ٧/٤-٥ وباب «الوليمة حق» حـ ٧/٣٠، وكتاب المناقب / باب إخاء النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار حـ ٣٩/٥، وكتاب البيوع / باب ما جاء في قول الله تعالى (فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون) حـ ٦٨/٣ و ٦٩ وانظر ما ذكره ابن حجر عن هذه الطرق المتعددة وفوائدها في فتح الباري حـ ٣٣٩/٤، وفتح الباري حـ ١٩/٩، وحـ ١٤٠/٩.

معاني المفردات:

فعرض عليه أن يناصفه أهله: أي يطلق زوجته ليتزوجها هو بعد انتهاء العدة

الأقط: يتخذ من اللبن المخيض يطبخ ثم يترك حتى يمصل وهو بفتح الهمزة وكسر القاف وقد تسكن القاف للتخفيف مع فتح الهمزة وكسرها مثل تخفيف كبد.

مهيم : أي ما شأنك أو ما هذا؟

وَضَر من صُفْرة : أثر صفرة الخلوق وهو طيب يصنع من زعفران وغيره .

فما سُقْتَ : أي من الصداق

(٢) تهذيب التهذيب حـ ٢٤٤/٦ وما بعده .

أما أخوه وقرينه فى هذه القصة ذلك الذى سمحت نفسه أن يعطيه نصف ماله وأن يطلق إحدى زوجتيه التى تعجبه ثم تنقضى عدتها ويتزوجها أخوه فهو «سعد بن الربيع بن عمرو بن أبى زهير الأنصارى الخزرجي، أحد النقباء ، وشهيد أحد»[1]

ومواقف القصة وأحداثها ، وعفة الصحابى ، وسعيد وتوكله على ربه ، وأخذه بالأسباب مع جود أخيه وكرمه الذى ربما يكون راحة لمن يريد أن يستريح ولا يعمل ، ثم النتيجة التى توضح أن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا ، كل ذلك فيه روعة وجمال. يقول أحد الدارسين للقصة فى الحديث : «ولكن أروع قصصهم وأحفلها بعناصر الإثارة و،التشويق ما سجلوه عن تجاربهم الذاتيه الواقعية ، وإذا كان الأدب الحقيقى هو الذى يصور لنا الحياة أو قطاعاً منها عن طريق التعبير الفاعل المؤثر فإن قصص الصحابة عن تجاربهم الذاتية ليتضح فيها هذا المعنى أظهر ما يكون الوضوح ، فهى تصور لنا فترة من حياة المسلمين من الرعيل الأول الذى شهد انبثاق فجر الاسلام وترصد لنا المعاناة التى لاقوها ، والحياة التى اضطربوا فيها ، وقارئ تلك القصص يحس أنه أمام مشاهد حية تتحرك، ينقلها له أشخاصها الذين عاشوها فعلا بكل صدق وأمانة[2].

نعم : لقد أهينوا وعذبوا ، وقاتلوا وقتلوا (فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُم فِى سَبِيلِ اللهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا) [3]

لقد حيل بينهم وبين أموالهم ، وأخرجوا من ديارهم بغير حق وكان ذنبهم أنهم يقولون: لا إله إلا الله. هكذا كان ذنبهم فى نظر المشركين والمعاندين والجاحدين .

وها هم قد هاجروا من مكة إلى المدينة وآخى رسول الله ص بين المهاجرين والأنصار ، وهـا هو سعـد بن الربيـع يعرض على أخيه عبدالرحمن بن عوف أن يقاسمه ماله وبيته وأهله .

(١) فتح البارى حـ ٧ / ١٤١.

(٢) محمد بن حسن الزير : القصص فى الحديث النبوى ص ٦٢، ص السلفية / مصر الأولى سنة ١٩٧٨.

(٣) سورة آل عمران الآية ١٤٦ .

وتلك منقبة لسعد، ذلك أن هذا القول منه كان قبل أن يسأل النبى ﷺ الأنصار أن يكفوا المهاجرين العمل ويعطوهم نصف الثمرة.[1]

ولكن عبدالرحمن بن عوف أبى إلا أن يعمل ، ويضرب المثل الأعلى فى الاعتماد على النفس بعد التوكل على الله والأكل من عمل يده فرد عليه بأدب ووقار قائلا : بارك الله لك فى أهلك ومالك ، فيرد سعد قائلا : «إنى أكثر الأنصار مالاً ، فأقسم لك نصف مالى ، وانظر أيه زوجتيَّ هوِيَت نزلت لك عنها فإذا حَلَتْ تَزَوَجْتَهَا » [2]

فيرد عبدالرحمن بن عوف قائلا : «لا حاجة لى فى ذلك ، هل من سوق فيه تجارة »؟[3]

فيدله سعد بن الربيع على سوق بنى قينقاع نسبة إلى قبيلة من اليهود ، وهو أحد الأسواق التى كانت فى الجاهلية وقررت فى الإسلام ، فيغدو عبدالرحمن بن عوف ويروح إلى هذه السوق ويكسب مالاً من تجارته، وبعد أيام رآه النبى ﷺ وعليه أثر الزعفران ، وكان هذا الخضاب دليل العرس، فسأله رسول الله ﷺ عن حاله وشأنه ، فقال فى جوابه : تزوجت امرأة من الأنصار.

فسأله : كم أَصْدَقْتَهَا ؟ أو ما سُقْتَ إليها ؟

قال : وزنَ نواة من ذهب ، وقد اختلف فيه وفى مقداره.

وقيل: لفظ النواة من ذهب عبارة عما قيمته خمسة دراهم من الفضة[4].فيدعو له النبى ﷺ بخير ويقول له : «بارك الله لك» قال عبدالرحمن : فلقد رأيتنى ولو رفعت حجراً لرجوت أن أصيب ذهبا أو فضة[5]، أى من بركة إجابة دعوة سيدنا محمد ﷺ.

(١) انظر فتح البارى حـ ٤ / ٣٣٩
(٢) البخارى كتاب البيوع حـ ٣ / ٦٨.
(٣) السابق نفسه .
(٤) انظر فتح البارى حـ ٩ / ١٤٣.
(٥) السابق نفسه .

وجاءت القصة لتعطينا دروساً نافعة فى بيان ملامح الشخصية الإسلامية :

أولاً : أكدت أمر الوليمة وأنها سنة عن النبى ﷺ وتستدرك بعد الدخول إذا فات المسلم إقامتهـا فى وقتها ، وذلك هديه بخلاف ما يقيمه المسلمون اليوم من حفلات صاخبة .

ثانياً : استحباب المؤاخاة ، وحسن الإيثار .

ثالثاً : استحباب رد ذلك على من آثر به لما يغلب فى العادة من تكلف مثل ذلك ، فلو تحقق أنه لم يتكلف جاز .

رابعاً : أن من ترك ذلك بقصد صحيح عوّضه الله خيراً منه .

خامساً : استحباب التكسب ، وأن ذلك يزين الشخصية ولا يعيبها وأن العيش من عمل المرء بتجارة أو حرفة أولى لنزاهة الأخلاق من العيش بالهبة ونحوها .

سادساً : استحباب الدعاء للمتزوج والتطيب للعرس.

سابعاً : سؤال الإمام والكبير أصحابه وأتباعه عن أحوالهم ، ولا سيما إذا رأى منهم ما لم يعهد .

ثامناً : أن النكاح لا بد فيه من صداق لسؤال رسول الله ﷺ عنه ، واستحباب تقليل الصداق لأن عبدالرحمن بن عوف كان من مياسير الصحابة ، وقد أقره ﷺ على إصداقه وزن نواة من ذهب.

فليعلم الإسلام من جهله ، ولتبن اللقاءات والمؤتمرات على هدى وبصيرة من شرع الله وسنة رسول الله ﷺ إن أراد الناس خيراً وفلاحاً ، وسعادة فى الدنيا والآخرة .

أم يعقوب ومكياچات العصر

عَنْ عَلْقَمَةَ عَنْ عَبْدِ اللـه قَالَ : لَعَنَ اللـهُ الواشِمَاتِ والمُوتَشِمَاتِ، والمُتَنَمِّصَاتِ والمُتَفَلِّجَاتِ لِلحُسْنِ ، المُغَيِّراتِ خَلْقَ اللهِ . فَبَلَغَ ذَلِكَ امْرَأَةً مِنْ بَنِى أَسَدٍ يُقَالُ لَهَا أُمّ يَعْقُوب فَجَاءَتْ فَقَالَتْ : إنّهُ بَلَغَنى أنّكَ لَعَنْتَ كَيْتَ وكَيْتَ ، فَقَالَ : وَمَالِي لاَ أَلْعَنُ مَنْ لعن رَسُولُ اللهِ ﷺ وَمَنْ هُوَ فِى كِتَابِ اللـهِ. فَقَالَتْ : لَقَدْ قَرَأْتُ مَابَيْنَ اللوْحَيْنِ ، فَمَا وَجَدْتُ فِيه مَا تَقُولُ . قَالَ : لَئِنْ كُنْتِ قَرَأْتِيهِ لَقَدْ وَجَدْتِيه، أمَا قَرَأْتِ (وَمَا آتَاكُم الرّسُولُ فَخُذُوهُ، وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) ؟ قَالَتْ : بَلَي. قَالَ : فَإنّهُ قَدْ نَهَى عَنْهُ قَالَتْ : فَإنّى أَرَى أَهْلَكَ يَفْعَلُونَهُ. قَالَ: فَاذْهَبِى فَانْظُرِي، فَذَهَبَتْ فَنَظَرَتْ فَلَمْ تَرَ مِنْ حَاجَتِهَا شَيْئاً. فَقَالَ : لَوْ كَانَتْ كَذَلِكَ مَا جَامَعْتُهَا » (١).

الدراسة والتحليل :

من الأمور المسلمة أن النفس السليمة تستريح للجمال وتتمتع به ، وأن الذى نفسه بغير جمال لا يرى فى الوجود شيئا جميلاً أن مما يجلو البصر : الماء والخضرة والوجه الحسن. وذلك كله مشروط بما أباحه الله تعالى وشرعه .

---

(١) البخارى كتاب التفسير / باب (وَمَا آتَاكُمْ الرّسُولُ فَخُذُوهُ) حـ ١٨٤/٦ وكتاب اللباس / باب المتفلجات للحسن حـ ٢١٢/٧ وباب المتنمصات حـ ٢١٣/٧-٢١٤.

معانى المفردات:

الوشم : أن يغرز فى العضو إبرة أو نحوها حتى يسيل الدم ثم يحشى بنورة أو غيرها فيكون لونه أخضر.
والواشمات جمع واشمة وهى من تفعل ذلك ، والموتشمات والمستوشمات : هى التى تطلب الوشم، وقيل الواشمة التى يفعل بها الوشم والمستوشمة: التى تفعله والأول هو الصحيح.
المتنمصات : اللاتى يطلبن النماص، والنامصة : التى تفعله.
والنماص :إزالة شعر الوجه بالمنقاش (الملقاط).
والمتفلجات للحسن : جمع متفلجة وهى التى تطلب الفلج أو تصنعه.
وهو انفراج ما بين الثنيتين، والتفلج : أن يفرج بين المتلاصقين بالمبرد ونحوه، وهو مختص عادة بالثنايا والرباعيات، ويستحسن من المرأة فربما صنعته المرأة لتلاصق أسنانها، وقد تفعله كبيرة السن توهم أنها صغيرة، لأن الصغيرة تكون جديدة السن مفلجة. أما تحديد الأسنان فيسمى الوشر.
تغيير خلق الله : قد يكون بتغيير لون العين، ووضع المساحيق ووصل الشعر بباروكه أو غيرها، وهى صنعة لازمة لمن يصنع الوشم والنمص والفلج والوصل.

تلك أمور فطرية ، والإحساس بها طبيعي ومركوز في النفس البشرية. والجمال عطاء من الله سبحانه، وقد عقدت له فصول في كتب الأدب «يروى عن ابن كُناسة قال: الجمال في الأنف والحُسْنُ في العينين، والملاحة في الفم» [1].

ويقول ابن عباس عن آل العباس : نحن أصبح وأسمح وأفصح .

وقال آخر :

يُرْوَى حديث عن نبي الهدى	يحكيه عن أسلافنا حاملوه
أن رسول الله في مجلس	قال وقد حَفَّ به حاضروه
إذا سألتم أحداً حاجةً	فالتمسوها من صِبَاح الوجوه

وقال ابن قيس الرقيات عن مصعب بن الزبير :

إنما مصعبٌ شهابٌ من اللـــه تَجَلَّت عن وجهه الظَّلْمَاءُ [2]

وقد ذكروا ان لبابة بنت عبدالله بن عباس كانت معدودة فيمن لم يُرَ من النساء مثلهن وقد قالت : ما نظرتُ وجهي قط في مرآة ونظرت معي امرأة إلا رحمتُها من حسن وجهي، حتى تزوجت الوليدَ بن عُتَبةَ فنظر معي في المرآة فرحمتُ نفسي من حسن وجهه، ويروى عن ابن عباس رضي الله عنه قال : قدم الوليد ابن عتبة المدينة فكأن وجهه ورقةُ مصحف، وكأنّ مَنْطِقَهُ نَظْمُ خَرَز. [3]

وكان رسول الله ﷺ أجمل الناس وقد قال علي رضي الله عنه في شأنه : «يقول ناعته: لم أرَ قبله ولا بعد مثله ﷺ» [4] أي في جمال خَلْقه الظاهر وخُلُقه الطاهر ﷺ ،

يقول شوقي:

---

(١) كتاب الفاضل للمبرد ص ١١٨، تحقيق عبدالعزيز الميمني ط الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٥.

(٢) السابق نفسه .

(٣) الفاضل للمبرد ص ١١٧ و ص ١١٨ .

(٤) رواه الترمذي.

زَانَتْكَ فى الخُلُقِ العظيم شمائل يُغْرَى بهن ويُولَعُ الكرماء
أما الجمال فأنت شمس سمائه وملاحة الصدّيق منك أياء[1]

وفى حديث الإسراء فى السماء الثالثة «ففتح لنا ، فإذا أنا بيوسف، وإذا هو قد أعطى شطر الحسن»[2]

هذا وقد منح الله كثيراً من عبادة جمالاً، والجمال يتفاوت (فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ) .

ولكن إذا ما حدث تغيير فى خلق الله فذلك من أمر الشيطان واتباع خطواته ، وذلك ما ابتليت به الأمة الاسلامية فى هذا الزمان وقلدنا غيرنا ، وأسرف الناس فى استعمال مواد كان لها أثرها السئ فى ثقب الأوزون الذى يكتب عنه العلماء ، يقول الله تعالى : (إنْ يَدعُونَ منْ دونهِ إنَاثاً وَإنْ يَدْعُونَ إلاّ شَيْطَاناً مَرِيداً. لَعَنَهُ اللهُ وَقَال لأتَّخِذَنَّ منْ عبَادكَ نَصيباً مَفْرُوضاً. ولأضلَنَّهُمْ ولأمَنيَنَّهُمْ ولآمُرَنّهُمْ فليبتكن آذَانَ الأنْعَامِ ولآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيّرُنَّ خَلْقَ الله وَمَنْ يَتخذْ الشيْطَانَ وَليّاً منْ دُونِ الله فَقَدْ خَسرَ خُسْرَاناً مُبيناً)[3]

جاء فى تفسير (ولآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيّرُنَّ خَلْقَ الله) قال ابن عباس يعنى بذلك خصاء الدواب، وكذا روى عن ابن عمر وأنس وسعيد بن المسيب، وعكرمة وغيرهم.

وقال الحسن بن أبى الحسن البصرى : يعنى بذلك الوشم .

وعن مجاهد وغيره يعنى دين الله عز وجل.[4]

---

(١) أياء الشمس وآياتها : نورها وحسنها .
(٢) مسند الإمام أحمد حـ ٣ / ١٤٨.
(٣) سورة النساء الآيات ١١٧-١١٨-١١٩.
(٤) تفسير ابن كثير / سورة النساء حـ ٢ / ٣٦٨ ط دار الشعب.

والقصة التى معنا تحكى لنا أن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه لعن أصنافاً من النساء فبلغ ذلك أم يعقوب وهى امرأة من بنى أسد كانت تقرأ القرآن وقالت: «لقد قرأت ما بين لوحى المصحف فما وجدته» أى فما وجدت لعن الواشمات والمستوشمات، والمتنمصات، والمتفلجات من أجل حسن أسنانهن، والمغيرات خلق الله.

وأم يعقوب لعلها كانت قد رأت زوجة ابن مسعود فى وقت ما تفعل ذلك، وقد نهاها ابن مسعود، أو لعلها ظنت ذلك. لقد جاءت المرأة من أجل التفقه فى دينها، وإذا كان ابن مسعود زكاه رسول الله ﷺ بأخذ القرآن عنه واتباع قراءته فإن أم يعقوب تقول له: «لقد قرأتُ ما بين اللوحين فما وجدتُ فيه ما تقول».

ولكن ابن مسعود يدلها على موضعه فى القرآن فى هذا الاجمال العظيم (وَمَا أَتَاكُم الرَّسُولُ فَخُذُوهُ، وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا)[1].

ويؤكد ابن مسعود ذلك بأن زوجته لو كانت كذلك ما عاشرها.

أجل:

لقد نهى رسول الله ﷺ عن وصل الشعر الوشم والتنمص، والتفلج، وتغيير خلق الله. وقد حفل البخارى بقوة أحاديث فى الزينة واللباس يتضح منها لعن ذلك، ولعن فاعله فكيف لا يلعن ابن مسعود من لعنهم رسول الله ﷺ إننى أسوق هذه الأحاديث لكل أخت مسلمة بعد ما فجّرت هذه القصة تلك القضية (فَلْيَحْذَرِ الذينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)[2]

(١) سورة الحشر الآية ٧.
(٢) سورة النور الآية ٦٣.

جاء في صحيح البخاري :

عن عبدالله رضي الله عنه قال : «لعَنَ رَسُولُ الله ﷺ الواصِلَة »[١]

وعن حُمَيْد بن عبدالرحمن بن عوف أنه «سَمِع معاوية بن أبي سفيان عَام حجّ وهو على المنبر وهو يقول - وتناول قُصّةً من شعر كَانَتْ بيد حَرَسِيّ - أيْنَ علماؤكم؟ سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن مثل هذه ويقول : إنَّمَا هَلَكَتْ بنو إسرائيلَ حين اتخذ هذه نساؤهم»[٢].

وعن عطاء بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «لعَنَ الله الواصِلَة والمُستَوْصِلَة، الواشمة والمستوشمة»[٣].

وعن عائشة رضي الله عنها أنّ جاريه من الأنصار تَزَوّجَتْ وأنها مَرِضَتْ فَتَمَعّطَ شَعْرُهَا ، فَأرَادُوا أنْ يصلوها فسألوا النبي ﷺ فقَال: لعَنَ اللهُ الواصلة، والمُستَوْصِلَة»[٤]

التَمَعّطُ : سقوط الشعر من أصله.

وعن أسماءَ بنتِ أبي بكرٍ رضي الله عنهما أن امرأةً جَاءَتْ إلى رسول الله ﷺ فَقَالَتْ: إنّي أنْكَحْتُ إبنتي، ثم أصابها شكوى فَتَمَزّقَ رأسها ، وزوجُها يَسْتَحِثّني بها ، أفأصلُ رأسها ؟ فَسَبّ رسولُ الله ﷺ الواصلة، والمستوصلة[٥] تمزق رأسها : تَقَطّع.

والسب: اللعن

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنّ رسول الله ﷺ قَالَ : «لعَنَ اللهُ الواصِلَة والمُستَوْصِلَة وَالواشِمَة والمُستَوْشِمَة» [٦]

(١) البخاري كتاب اللباس حـ ٢١٢/٧.
(٢) السابق نفسه.
(٣) السابق نفسه.
(٤) البخاري كتاب اللباس / باب الوصل في الشعر حـ ٢١٢/٧.
(٥) السابق نفسه .
(٦) السابق نفسه .

وعن سعيد بن المُسَيِّب قَالَ : «قَدِمَ مُعَاوِيَةُ المدينة آخِرَ قدمة قَدِمَهَا، فأخرج كُبَّةً من شَعَرٍ، قال : ما كنتُ أرى أحداً يفعل هذا غير اليهودي، إن النبي ﷺ سَمَّاهُ الزّورَ»[1] يعنى الواصلة فى الشعر.

وبعد فإن هذه القصة وما استلزمت من أحاديث فى هذا الجانب الذى يحرم على المؤمن والمؤمنة تغيير خلق الله تعالى أثارت أحكاماً فقهية نحن فى أشد الحاجة إليها :

أولاً : لا يجوز للمرأة تغيير شيء من خلقتها التى خلقها الله تعالى عليها بزيادة أو نقص التماسا للحسن لا للزوج ولا لغيره، إلا أنه يستثنى من ذلك ما يحصل به الضرر والأذيّة كمن يكون لها سن زائدة أو طويلة تعوقها فى الأكل، أو إصبع زائدة تؤذيها أو تؤلمها فيجوز ذلك والرجل فى هذا الأخير كالمرأة فى جواز ذلك له .

ثانياً : قال النووى : «يستثنى من النماص ما إذا نبت للمرأة لحية أو شارب أو شئ آخر فلا يحرم عليها إزالة ذلك بل يستحب ويكون بإذن الزوج وعلمه»[2].

ثالثاً : أجاز العلماء الحفّ والتحمير والنقش والتطريف إذا كان بإذن الزوج لأنه من الزينة. وورد عن أبى إسحاق عن امرأته أنها دخلت على عائشة وكانت شابّة يعجبها الجمال فقالت : المرأة تحف جبينها لزوجها، فقالت : أميطى عنك الأذى ما استطعت[3].

---

(١) البخارى كتاب اللباس / باب الوصل فى الشعر حـ ٢١٣/٧.

(٢) فتح البارى حـ ٣٩١/١٠.

(٣) السابق نفسه .

تفسير مفرداته:

الحف يقال حفت المرأة وجهها حَفًا: زينته بأخذ شعره .

التحمير : جاء فى اللسان «حمرت الجلد إذا قشرته وحلقته، وحمرت المرأة جلدها تحمره، أو لعله الصبغ بالأحمر.

النقش: ازالة شعر الوجه بالمنقاش.

التطريف: يقال طرّفت المرأة بنانها تطريفا أى خَضّبت أطراف أصابعها. كما فى المصباح المنير حـ ٢ / ٥٦٦.

رابعاً : أما من حمل النهى الوارد فى القصة والأحاديث السابقة على التنزيه فقد رد عليهم ابن حجر بقوله: «فى هذه الأحاديث حجة لمن قال (يحرم) الوصل فى الشعر، والوشم، والنمص على الفاعل والمفعول به ، وهى حجة على من حمل النهى فيه على التنزيه لأن دلالة اللعن على التحريم من اقوى الدلالات ، بل عند بعضهم أنه من علامات الكبيرة»[1]

خامساً : احتج الجمهور بما سبق على منع وصل الشعر بشعر آخر أو بغير الشعر، وذهب الليث وكثير من الفقهاء إلى أن الممتنع من ذلك وصل الشعر بالشعر، وأما إذا وصلت المرأة شعرها بغير الشعر من خرقة وغيرها فلا يدخل فى النهي.

وأخرج أبو داود بسند صحيح عن سعيد بن جبير قال : لا بأس بالقرامل وهى نبات طويل الفروع لين، والمراد به هنا : خيوط من حرير أو صوف يعمل ضفائر تصل به المرأة شعرها. ومنهم من أجاز الوصل مطلقا سواء كان بشعر آخر أو بغير شعر إذا كان بعلم الزوج وبإذنه ، ولكن أحاديث الموضوع كما سبق حجة عليه.[2]

ثم ما أجمل أن تأتى القصة بهذا الأسلوب الذى تبرز فيه البساطة الزاخرة بالحيوية والقوة التى تجعله أكثر تأثيراً وجاذبية مع الوضوح، وشجاعة المرأة المسلمة فى حوارها وثقافتها الدينية كما تصورها القصة فى كونها قرأت القرآن الكريم كله، ثم رد ابن مسعود القوى فى استنباطه من القرآن الكريم وعبارته التى ختمت بها القصة.

(١) فتح البارى حـ ١٠/ ٣٩٠.
(٢) انظر ما كتبه ابن حجر فى فتح البارى حـ ١٠ / ٣٨٨.

من استطاع منكم الباءة فليتزوج

١ - عَنْ عَلْقَمَةَ قَالَ : كُنْتُ مَعَ عَبْدِ اللهِ ، فَلَقِيَهُ عُثْمَانُ بِمِنًى فَقَالَ : يَا أَبَا عَبْدِالرحْمَنِ إنَ لِى إلَيْكَ حَاجَةً فَخَلَيَا ، فَقَالَ عُثْمَانُ : هَلْ لَكَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَحْمَنِ فِى أَنْ نُزَوِّجُكَ بِكْراً تُذَكِّرُكَ مَا كُنْتَ تَعْهَدُ ؟ فَلَمّا رَأَى عَبْدُ اللهِ أَنْ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ إلى هَذَا أَشَارَ إلَىَّ فَقَالَ : يَا عَلْقَمَةُ ، فَانْتَهَيْتُ إلَيْهِ وَهُوَ يَقُولُ : أَمَا لَئِنْ قُلْتَ ذَلِكَ لَقَدْ قَالَ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ : يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُم البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ »[1].

٢ - وَعَنْ الزُهْرِى قَالَ : أَخْبَرَنِى سَعِيدُ بنُ المُسَيِّب أَنَّهُ سَمِعَ سَعْدَ بنَ أَبِى وَقَاص يَقُول: «لَقَدْ رَدّ ذَلِكَ - يعني النبى ﷺ - عَلى عُثْمَانَ بنِ مَظْعُون، ولو أَجَازَ لَهُ التَّبَتُّلَ لأخْتَصَيْنَا »[2]

٣ - وَعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضى الله عنه قَالَ : « قُلْتُ : يا رسولَ الله، إنّى رَجُلٌ شَابٌ، وَأَنَا أَخَافُ عَلَى نَفْسِى العَنَتَ، وَلا أَجِدُ مَا أَتزَوّجُ بِهِ النِّسَاءَ، فَسَكَتَ عَنّى ثُم قُلْتُ مِثْلَ

---

(١) البخارى كتاب النكاح / باب قول النبى ﷺ من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحض للفرج، وهل يتزوج من لا أرب له فى النكاح؟ حـ ٣/٧.

معانى المفردات:

فخليا وفى راية «فَخَلَوَا» قال ابن التين : وهى الصواب لأنه داوى يعنى من الخلوة مثل «دَعَوَا» (فَلَمَا أَثْقَلَت دَعَوَا الله رَبّهُمَا)

تذكرك ما كنت تعهد : أى ما مضى من زمانك.

معشر الشباب : المعشر جماعة يشملهم وصفٌ ما .

الباءة : القدرة على تكاليف الزواج ، وقيل الجماع.

الوجاء : أصله الغمز ، وهو رصد الأنثيين.

(٢) البخارى كتاب النكاح / باب ما يكره من التبتل والخصاء حـ ٧ / ٥

التبتل : الانقطاع عن النكاح وما يتبعه من الملذات إلى العبادة .

أما التبتل فى قوله تعالى (وَتَبَتّلْ إلَيْه تَبْتِيلاً) فالمراد به اخلاص العبادة له اخلاصاً ، ومريم البتول لانقطاعها عن التزوج إلى العبادة. وفاطمةَ البتول لانقطاعها عن نظرائها فى الشرف والجمال.

ذَلِكَ، فَسَكَتَ عَنِّى، ثُمَّ قُلْتُ لَهُ مِثْلَ ذَاكَ فَسَكَتَ عَنِّى، ثُمَّ قُلْتُ مِثْلَ ذَلِكَ فَقَالَ النَّبِى ﷺ : يَا أَبَا هُرَيْرَةَ جَفَّ القَلَمُ بِمَا أَنْتَ لاَقٍ، فَاخْتَصِ عَلَى ذَلِكَ أَوْذَرْ» [1] .

الدراسة والتحليل :

هذه قصص جاءت لتبين ما دار فى خَلَد بعض الصحابة من استئذان رسول الله ﷺ فى التبتل، وما واجه بعضهم من شظف العيش وضيق ذات اليد بحيث كان لا يستطيع الزواج فعرض مشكلته على رسول الله ﷺ لعله يجيز له الاختصاء .

والقصة الأولى تحكى لنا ما دار بين صحابيين إذ قابل عثمان عبدالله بن مسعود فقال: هلم يا أبا عبدالرحمن فاستخلاه .

وقد رأى عثمان بابن مسعود قشفا ورثاثة هيئة فحمل ذلك على فقده الزوجة التى ترفهه .

فقال عثمان : هل لك يا أبا عبدالرحمن فى أن نزوجك بكراً تذكرك ما كنت تعهد؟ ذلك أن معاشرة الزوجة الشابة تزيد فى القوة والنشاط .

وهنا يرى ابن مسعود أنه لا حاجة له فى الزواج ، وينادى علقمة فجاء علقمة، فقال له عثمان : ألا نزوجك؟ ثم ذكر ابن مسعود انهم كانوا مع رسول الله ﷺ شبابا لا يجدون شيئا ، فحثهم على الزواج وقال كلمته الخالدة التى هى العلاج الناجع ، والدواء الشافي: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء».

(١) البخارى كتاب النكاح / باب ما يكره من التبتل والخصاء حـ ٧ / ٥
العَنَتَ : بفتحتين المراد به هنا الزنا ، وأصله الشدة ، ويطلق على الإثم والفجور والأمر الشاق والمكروه.

أى من استطاع منكم تكاليف الزواج فليتزوج ، وقيل المراد بالباءة هنا الجماع، ورجح بعضهم أن المراد بالباءة مؤن النكاح الذى ذكرناه أولاً ، سميت باسم ما يلازمها ، وتقديره من استطاع منكم مؤن النكاح فليتزوج ومن لم يستطع فليصم لدفع شهوته ، الذى حمل القائلين بهذا على ما قالوه قوله «ومن لم يستطع فعليه بالصوم» قالوا والعاجز عن الجماع لا يحتاج إلى الصوم لدفع الشهوة. وأوله بعضهم بأن معناه : من استطاع منكم الجماع لقدرته على مؤن النكاح فليتزوج .

نعم فالزواج يتشمى مع منطق العواطف الوجدانية والغرائز الفطرية ، فى الوقت الذى يتسامى فيه بذلك عن إشباعها بالانحراف ، أو بترها بالتبتل، ويضمن التنظيم والإرواء للجانبين النفسى والجنسى لدى كل اثنين تسرى بينهما عواطف المحبة والود، ويميل كل منهما للحياة مع الآخر ، وللسعادة فى هذه الحياة .

وتأتى رواية أخرى فى الحديث فتوضح فائدة الزواج : «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أَغَضُّ للبصر ، وَأَحَصنُ للفرج» [١].

فالزواج استقرار نفسي، وتحصين للنفس المؤمنة من المغريات ، وتسكين للجوارح كلها، وأولها البصر وهو من أبواب السعادة ، ومتعة من خير ألوان المتاع الدنيوى حين يتخير فيه الرجل المرأة الصالحة ، وتتخير فيه المرأة الرجل الصالح .

وقد ورد عن عبدالله بن عمرو ان النبى ﷺ قال : «الدُّنْيَا مَتَاعٌ وخير متاعها المرأة الصالحة»[٢] .

---

(١) هذه الزيادة فى كتاب الصيام، وثبت عند جميع من أخرج الحديث المذكور من طريق الأعمش بهذا الإسناد، وكذا ثبت بإسناده الآخر فى الباب الذى يلى هذا الباب، انظر فتح البارى ١١/٩.

(٢) رواه أحمد فى المسند ١٤٣/١٦ من الفتح الربانى وكذا مسلم والنسائى وابن ماجة .

وعن أبى أمامة عن النبى ﷺ قال : «ما استفاد المؤمنُ بعد تقوى الله خيراً له من زوجة صالحة، إنْ أمرها أطَاعَتْهُ، وإن نظر إليها سَرّتْهُ، وإنّ أقسم عليها أبَرّتْهُ، وإن غاب عنها نَصَحَتْهُ فى نفسها وماله»[1]

وتأتى القصة الثانية والثالثة عند البخارى تحت عنوان «باب ما يكره من التبتل والخصاء».

نعم لقد رَدّ رسول الله ﷺ على عثمان بن مظعون التبتل، ولم يأذن له فيه ، ونهاهم رسول الله ص عن الخصاء ورخص لهم أن ينكح الرجل المرأة بالثوب مهراً لها ، وقرأ عليهم الآية الكريمة : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكُم وَلاَ تَعْتَدُوا إنّ اللهَ لاَ يُحِبُّ المُعْتَدِينَ) [2].

وهنا يشكو له ابو هريرة أنه رجل شاب، ويخاف على نفسه المشقة والعَنَتَ والوقوع فى المحذور، ولا يجد ما يتزوج به ، وكأنه يطلب رخصة بالخصاء فيسكت رسول الله ﷺ عنه لأنه نهاهم عن ذلك وهو نهى تحريم بلا خلاف فى بنى آدم [3]. لأنه مهما يكن القصد من هذا التبتل فإنه تعطيل للفطرة ، وإهدار للحقوق، وتحريم للطيبات، وتنكب عن السنة، وتشريع لما لم يأذن به الله، فضلا عما فيه من تخلف عن الدور الايجابى الذى ينبغى أن يقوم به الفرد فى المجتمع .

لقد أكثر ابو هريرة وسكت رسول الله ﷺ عن إجابته أكثر من مرة ولكنه يتكلم ويسأل ، وكأن رسول الله ﷺ يريد أن يسكته فيقول له : «يا أبا هريرة جَفّ القلم بما أنت

---

(١) رواه ابن ماجه فى السنن حـ ٥٩٦/١ لكن قال صاحب الزوائد فى إسناده على بن يزيد، قال البخارى : منكر الحديث، وعثمان بن أبى العاتكة مختلف فيه ، والحديث رواه النسائى من حديث أبى هريرة وسكت عليه ، وله شاهد من حديث عبدالله بن عمر، النسائى حـ ٧٢/٢.

(٢) سورة المائدة الآية ٨٧.

(٣) انظر فتح البارى حـ ٩ / ٢١.

لاق، فاخْتَص على ذلك أو ذَرْ». وليس الأمر فى الاختصاء على ظاهره بل هو للتهديد كقوله تعالى (وَقُلْ الحَقُّ مِنْ رَبِّكُم فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ) [١].

والمعنى إن فعلت أو لم تفعل فلا بد من نفوذ القدر ، وجميع الأمور بتقدير الله فى الأزل ، ولا يقع فى ملكه إلا ما يريده .

لقد مرت الأيام والسنون ، وتغيرت الأمور، وتبدل شظف العيش لينا، وأصبح الغلام الدوسى راوية الإسلام أعنى أبا هريرة فى سعة من العيش وفتح الله عليه أبواب الرزق والخير والنعمـــة واستعمله عمر على البحرين ، وتأمّر على المدنية غير مرة فى أيام معاوية. [٢]

لقد تزوج وأنجب وكان له ابن يروى عنه حديث رسول الله ﷺ [٣].

وكان فى أيام رخائه هذه يتذكر أيام الشدة حين كان لا يجد القوت ، ويلزم رسول الله ﷺ بشبع بطنه ، وحين كان يذهب إلى جعفر بن أبى طالب الملقب بأبى المساكين فيسأله الطعام . فعن أبى هريرة رضى الله عنه «أنَّ النَّاسَ كَانُوا يَقُولُون : أكثر أبو هريرة، وإنِّىَ كُنتُ أَلْزَمُ رسول الله ﷺ بِشَبَعِ بطنى حَتىَّ لا آكُلَ الخميرَ ولا أَلْبَسَ الحَبِيرَ ، ولا يَخدمنى فلانٌ ولا فلانة، وكنت أُلْصِقُ بطنى بالحَصْبَاءِ من الجُوعِ ، وإنْ كُنْتُ لأَسْتَقْرِىءُ الرَّجُلَ الآية هى معى كى ينقلب بى فيُطْعِمَنى ، وكان أَخْيَرَ النّاسِ للمساكين جعفرُ بن أبى طالبٍ ، كانَ ينقلب بنا فيُطْعِمُنَا ما كانَ فى بيته ، حتى إنْ كان ليُخْرِجُ إلينا العُكَّةَ التى ليس فيها شئٌ فيشقها فَنَلْعَقَ ما فيها. [٤]

---

(١) سورة الكهف الآية ٢٩.
(٢) ابن حجر : تهذيب التهذب حـ ١٢/ ٢٦٧.
(٣) انظر السابق ص ٢٦٣.
(٤) البخارى كتاب المناقب / باب مناقب جعفر بن أبى طالب ٥/ ٢٤.
والعكة : ظرف السمن ، يلعقها أى بلسانه.

فقد كان أبو هريرة مسكينا لا مال له ولا أهل ، وكان يدور مع النبى ﷺ حيثما دار ولذا سمع منه ما لم يسمعه كثير من الصحابة ، وكان يطلب القرى من بعضهم قائلا (أقريني) فيظن الواحد منهم أنه من القراءة فيأخذ يقرئه القرآن ولا يطعمه ، وهو يريد الطعام [1]، ويسكت حياء وأدباً. بل لقد كان يغشى عليه من الجوع فى مسجد رسول الله ﷺ وها هو محمد بن سيرين يقول : « كُنَّا عند أبى هريرة ، وعليه ثوبان مُمَشَّقَان من كتَّانٍ، فَتَمَخَّطَ فَقَالَ: بَخْ بَخْ أبو هريرة يَتَمَخَّطَ فى الكتَّانِ، لقد رأيتنى وإنى لأخرُ فيما بين مِنْبَر رسول الله ص إلى حجرة عائشةَ مَغْشِيّاً عليّ، فيجيء الجَائى فَيَضَعَ رِجْلَهُ على عُنُقِى وَيرَى أنى مَجْنُونٌ ، وَمَا بِى مِنْ جُنُونٍ ، وَمَا بِى إلا الجُوعُ » [2].

فها هو أبو هريرة لما صبر على الشدة وسع الله عليه وتزوج وأنجب ، وصبر على ملازمة النبى ﷺ فى طلب العلم فجوزى بما انفرد به من كثرة حفظه ونقله للأحكام وذلك ببركة صبره فى المدينة المنورة .

وإن فى ذلك لعبرة لمن يخشى فيا شباب الإسلام التزموا وحافظوا على أنفسكم واصبروا (وَلْيَسْتَعْفِفْ الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ نِكَاحاً حَتى يُغْنِيَهُم اللهُ مِنْ فَضْلِهِ) .

---

(١) انظر فتح البارى حـ ٧ / ٩٥.

(٢) البخارى كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة حـ ٩ / ١٢٨
والثوبان الممشقان أى المصبوغان بالمشق وهو الطين الأحمر، بخ بخ : كلمة تعجب ومدح.
وإنى لأخر فيم بين المنبر والحجرة هو مكان القبر الشريف
أى يقع مغشيا عليه من شدة الجوع والهزال الذى أصابه .

هلا جارية تلاعبها وتلاعبك

عَنْ جَابِر بن عَبْد الله رَضِيَ الله عنهما قال : هَلَكَ أَبِى وَتَرَكَ سَبْعَ بَنَاتٍ أَوْ تِسْعَ بَنَاتٍ، فَتَزَوَّجْتُ امرأةً ثيباً ، فَقَالَ لِى رَسُولُ الله ﷺ : تَزَوَّجْتَ يَا جَابِرُ ؟ فَقُلْتُ : نَعَمْ ، فَقَالَ : بِكْراً أَمْ ثَيِّباً ؟ قُلْتُ : بَلْ ثَيِّباً ، قَالَ : فَهَلا جَارِيةً تُلاعِبُهَا وَتُلاعِبُكَ ، وتُضَاحِكُهَا وَتُضَاحِكُكَ ، قَالَ : فَقُلْتُ لَهُ : إنّ عَبْدَ اللـه هَلَكَ ، وَتَرَكَ بَنَاتٍ ، وَإنى كَرِهْتُ أَنْ أَجِيئَهُنَّ بِمِثْلِهِنَّ ، فَتَزَوَّجْتُ امرأةً تَقُومُ عليهن وَتُصْلِحُهُنَّ ، فَقَالَ : بَارَكَ الله لَكَ ، أَوْ قَالَ : خَيْراً » [1].

الدراسة والتحليل :

تختلف حياة الناس باختلاف أمزجتهم ودوافعهم النفسية فمن الناس من تهمه نفسه ، ومنهم من يفكر فى نفسه وفى غيره ، ومنهم من يؤثر على نفسه . ومن المأثورات الشائعة: «ما استحق أن يولد من عاش لنفسه فقط».

والحياة لا تخلو من أفراح وأتراح ، والعاقل من فكّر فى أمره وتوكّل على ربه ، وقدّم الخير لنفسه ، واتخذ لنفسه طريقاً معبّداً يسير عليه يتلاءم وظروفه لتستقيم حياته.

وفاعل الخير لن يقع عليه ضرر طال الزمن أو قصر ، ولله درُّ القائل :

ازْرَعْ جميلاً وَلَوْ فى غير مَوْضعِهِ   فَلَنْ يَضيعَ جَميلٌ أَيْنَمَا زُرِعا

---

(١) البخارى كتاب النفقات / باب عون المرأة زوجها فى ولده حـ ٧/ ٨٥، وكاب الدعوات / باب الدعاء للمتزوج حـ ٨ / ١٠٢ ومع اختلاف يسير فى الرواية فى كتاب النكاح / باب الثيبات حـ ٧ / ٦ .

معانى المفردات :

البكر خلاف الثيب رجلاً كان أو امرأة وهو الذى لم يتزوج والجمع أبكار مثل حِمْل وأحْمَال. والبكارة بفتح الباء عذرة المرأة . وتسمى البكر عذراء والجمع عذارى.

والجارية : الشابّة لخفتها ، وتسمى الأمَة جارية تشبيها لها بالسفينة التى تجرى فى البحر لجريها فى شغل بيتها ، والجمع الجوارى.

والقصة التى معنا كما يحكيها بطلها جابر بن عبدالله الأنصارى الصحابى ابن الصحابي، راوى حديث رسول الله ﷺ والذى شهد تسع عشرة غزوة مع رسول الله ﷺ قال جابر : «لم أشهد بدراً ولا أحداً ، منعنى أبى فلما قُتِلَ عبد الله لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى غزوةٍ قط» [١]

وذكر جابر بن عبدالله رضى الله عنهما ان رسول الله ﷺ استغفر له خمسا وعشرين مـرة » وقـال وكيـع عن هشام بن عروة : رأيت لجابر بن عبدالله حلقة فى المسجد يُؤْخَذُ عنه » [٢].

لقد كان والد جابر عبدالله بن عمرو بن حَرَام أحد شهداء أحد وحينما استشهد وترك عليه ثلاثين وَسْقاً ديناً لرجل من اليهود، [٣] فطلب جابر من اليهودى نظرة إلى ميسرة فأبى ، فكلّم جابر سيدنا رسول الله ﷺ ليشفع له ، فكلّم اليهودى ليأخذ ثمر نخله بالذى له فأبى ، إن جابر بن عبدالله فى حيرة ولم يترك له ابوه سوى هذا البستان ، ويخاف أن يفحش الغرماء عليه واليهودى لم يستجب لشفاعة رسول الله ﷺ ، وهنا تظهر علامات النبوة وينطلق رسول الله ﷺ فى البستان وتحل بركته فيه ويأمر جابراً أن يكيل للقوم فكالهم حتى أوفاهم وبقى له مثل ما أعطاهم [٤]. جاء فى إحدى روايات الحديث «أن رسول الله ﷺ قَامَ فَطَافَ فى النَّخْلِ، ثُمّ جاء فكلّمه فأبى يقول جابر فَقُمت فجئت بقليلِ رُطَبٍ فوضعتُه بين يدى النبى ﷺ فَأكَلَ ثُمّ قَالَ : أيْنَ عَرِيْشُكَ يا جابرُ ؟ فأخبرتهُ ، فقال

(١) تهذيب التهذيب حـ ٢/ ٤٣.
(٢) المرجع السابق .
(٣) فتح البارى حـ ٦٨٦/٦ «والوَسْقُ ستون صاعاً بصاع النبى ﷺ، والصاع خمسة أرطال وثلث» المصباح (وسق) .
(٤) البخارى كتاب المناقب / باب علامات النبوة فى الاسلام ٢٣٥/٤ وانظر تحليل ابن حجر لهذه القصة ورواياتها المتعددة فى فتح البارى حـ٦٨٦/٦ : ٦٨٨ وكذا فى البخارى كتاب الوصايا حـ ١٦/٤ . ١٧.

افرشْ لى فيه ، فَفَرَشْتُهُ فَدَخَلَ فَرَقَدَ ثم استَيْقَظَ ، فجئتُه بِقَبْضَةٍ أخْرَيَ فَأكَلَ منها ، ثُمَّ قَامَ فَكَلَّمَ اليهوديَّ فَأَبَى عليه ، فقام فى الرِّطَابِ ، فى النَّخْلِ الثَّانية ، ثُمَّ قَالَ يا جابرُ : جُدَّ واقض، فَوَقَفَ فى الجذاذ فَجَذَذْتُ منها ما قَضَيْتُه وَفَضَلَ مِثْلُهُ ، فخرجتُ حتى جئتُ النبى ﷺ فَبَشَّرْتُه فقَالَ : أَشْهَدُ أنى رَسُولُ الله » [1] ﷺ .

يقول ابن حجر: « قال النبى ﷺ ذلك لما فيه من خَرْق العادة الظاهر من إيفاء الكثير من القليل الذى لم يكن يظن أنه يوفى منه البعض فضلا عن الكل ، فضلا عن أن تفضل فضلة ، فضلا عن أن يفضل قَدْر الذى كان عليه من الدين » [2].

هذه ظروف جابر رضى الله عنه ودين أبيه الذى كان عليه بالإضافة إلى بناته السبع أو التسع اللاتى تركهن لابنه يقوم بتربيتهن ورعاية مصالحهن ، والسعى عليهن .

لقد آن الأوان لزواج هذا الشاب الذى يحمل هذه التركه الثقيلة فماذا يفعل؟ أيتزوج بكراً تداعبه وتلاعبه وتطلب منه إبعاد أخواته عنها؟ أيتزوج بكراً تطلب بيتا خاصاً، ووقتا لها لا تقبل فيه أدنى مشاركة لأم أو لأخت ؟

لقد فكر جابر وقدّر ، وقارن ودبّر ، فكره ان يجمع إليهن جارية خرقاء مثلهن لا تستطيع أن تقوم بأمر نفسها فكيف بأمر أخواته ؟

لقد فكّر فى امرأة ثيب تقوم على أخواته وتجمعهن وتمشطهن وتكون بمثابة الأم لهن ، وهداه الله تعالى إلى اختيار الزوجة التى كات عند حسن ظنه ، وهى سهلة بنت مسعود ابن أوس بن مالك الأنصارية. [3]

---

(١) البخارى كتاب الأطعمة / باب الرطب والتمر جـ ٧ / ١٠٣ .
وانظر شرحه فى فتح البارى جـ ٩ / ٤٧٧ : ٤٨١ يقال شئ رطب ورطيب إذا كان مُبْتَلاً أو رخصا لينا ، والرطبة : القصبة خاصة والجمع رطاب .
(٢) فتح البارى جـ ٩ / ٤٨٠.
(٣) هكذا ذكر اسمها ابن حجر نقلا عن ابن سعد فتح البارى جـ ٩ / ٢٥.

وإنه من يمن الطالع ان تكون سهلة فامبراطورية الأخوات فى حاجة إلى امرأة سهلة تسلس قيادهن وتكون سعداً عليهن فتعوضهن فقد الوالد والوالدة .

وشاء الله تعالى أن كان رسول الله ﷺ فى غزوة، وخرج جابر معه ، وفى الرجوع كان جابر مسرعا على بعير بطئ يعجل سيره ، فلحقه راكب من خلفه فنخس بعيره فانطلق البعير مسرعاً ، فإذا النبى ﷺ يسأله عن سبب إسراعه ، فيذكر له جابر أنه حديث عهد بعُرْسٍ فيقول له : «أبكراً أم ثيبا ؟ قال ثيباً، قال : فهلا جاريةً تلاعبها وتلاعبك؟ [1]

هو يتعجل إلى أهله ، وقد تزوجها ثيبا لظروفه التى حكاها لرسول الله ﷺ فقال له: «أصَبْتَ» [2].

لقد كان تصرف جابر دستوراً ناطقا بكريم خلقه ، وعظيم تضحيته ، وحسن تصرفه، لقد دعا له رسول الله ﷺ بالخير والبركة ، فبارك الله له فى زوجته التى ربت أخواته ، ورزقه الله منها ذرية صالحة فقد ذكر ابن حجر فيمن رووا عنه «أولاده عبدالرحمن ، وعقيل ومحمد» [3]. وبارك الله له فى صحته وتجارته ، وحينما مرض زاره سيد الخلق ﷺ ومعه الصديق رضى الله عنه .

يقول جابر رضى الله عنه : «مَرِضْتُ فَجَاءَنى رَسُولُ الله ﷺ وقد أُغْمِيَ علَيّ ، فتَوَضَأَ رسولُ الله ﷺ ثم صَبّ وَضُوءَهُ علىّ فَأَفَقْتُ ، فقلتُ يا رسول الله : كيف أقضى فى مالى ؟ كيف أصنع فى مالى ؟ قال : فما أجابنى بشئ حتى نزلت آية الميراث» [4].

(١) البخارى / كتاب النكاح / باب تزويج الثيبات حـ ٧ / ٦ وفتح البارى حـ ٩ / ٢٤ .
(٢) رواية فى الحديث انظر فتح البارى حـ ٩ / ٢٥ .
(٣)تهذيب التهذيب حـ ٢ / ٤٢ .
(٤)البخارى كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة حـ ٩ / ١٢٤
والوضوء بفتح الواو : الماء الذى يتوضأ به .

لقد شُفى جابر بن عبد الله من مرضه الذى كان يظن فيه أن الأجل قريب، وعاش بعدها وعُمر ما يقرب من خمس وتسعين سنة إذ توفى سنة ثمان وسبعين من الهجرة على أرجح الآراء وكان آخر من مات من الصحابة بالمدينة. (١)

فسلام عليه فى الخالدين ، وسلام عليه فى الأبرار والصديقين .

لقد جاءت هذه القصة لتعلمنا دروساً نافعة منها :

أولاً : الحث على نكاح الابكار لأنهن أعْذَبُ أفواهاً وأنتق أرحاماً ، وأرضى باليسير، والمتعة بهن أعظم للملاعبة والمداعبة والمضاحكة المشروعة .

ثانياً : فضيلة جابر بن عبدالله لشفقته على أخواته ، وإيثاره مصلحتهن على حظ نفسه .

ثالثاً : أنه إذا تزاحمت مصلحتان قُدّم الأهم منهما لأن النبى ﷺ صَوّب فعل جابر ودعا له لأجل ذلك .

رابعاً : الدعاء لمن فعل خيراً وإن لم يتعلق بالداعى .

خامساً : سؤال الإمام والكبير أصحابه عن أمورهم وتفقده أحوالهم ، وإرشادهم إلى مصالحهم ونصحهم ولو كان فى الأمور الخاصة.

سادسا : مشروعية خدمة المرأة زوجها ومن كان منه بسبيل من ولد وأخ وعائلة ، وأنه لا حرج على الرجل فى قصده ذلك من امرأته ، فالعادة جارية بذلك وإن كان ذلك لا يجب عليها .، وقد ذكر العلماء أن «عون المرأة زوجها فى ولده ليس بواجب عليها ، وإنما هو من جميل العشرة ومن شيمة صالحات النساء» .

(١) تهذيب التهذيب حـ ٢ / ٤٣ .

سابعاً : أنه يؤخذ من دعوة رسول الله ﷺ له «بارك الله عليك» أن المراد شمول البركة له فى جودة عقله حيث قدم مصلحة أخواته على حظ نفسه فعدل لأجلهن عن تزوج البكر مع كونها أرفع رتبة للمتزوج الشاب من الثيب غالباً . وأن جابر بن عبد الله شملته بركة هذه الدعوة فى حياته وتجارته وأولاده وعبادته .[1]

(١) ينظر ما يستفاد من الحديث السابق مما أورده ابن حجر فى فتح البارى حـ ٩ / ٢٥ - ٢٦ و حـ ٩ / ٤٢٣ وحـ ١١/ ١٩٤ .

من كان مهرها سوراً من القرآن

عَنْ سَهْلِ بن سَعْدٍ أنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ رَسُولَ الله ﷺ، فَقَالَتْ يَا رَسُولَ الله : جِئْتُ لأَهَبَ لَكَ نَفْسِي، فَنَظَرَ إليْهَا رَسُولُ الله ﷺ فَصَعَّدَ النَّظَرَ إليْهَا وَصَوَّبَهُ، ثُمّ طَأطَأَ رَأْسَهُ، فَلَمّا رَأَتْ المَرْأَةُ أَنَّهُ لَمْ يَقْضِ فيها شَيْئاً جَلَسَتْ ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ : يَا رَسُولَ الله إنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ بِهَا حَاجةٌ فَزَوِّجْنيهَا، فَقَال : هَلْ عِنْدَكَ من شَيْءٍ ؟ فَقَالَ : لاَ والله يا رَسُولَ الله، قَالَ : اذْهَبْ إلى أَهْلِكَ فَانْظُرْ هَلْ تَجِدُ شَيْئاً ، فَذَهَبَ ثُمّ رَجَعَ فَقَالَ : لاَ والله يَا رَسُولَ الله مَا وَجَدْتُ شَيْئاً ، قَالَ : انْظُرْ وَلَو خَاتَماً مِنْ حَدِيدٍ ، فَذَهَبَ ثُمّ رَجَعَ فَقَالَ : لاَ وَالله يَا رَسُولَ الله وَلاَ خَاتَماً مِنْ حَدِيدٍ. وَلَكِنْ هَذَا إِزَارِي ، قَالَ سَهْلٌ : مَالَهُ رِدَاءٌ فَلَهَا نِصْفُهُ ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : مَا تَصْنَعُ بإزَارِكَ ، إنْ لَبِسْتَهُ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهَا مِنْهُ شَيْءٌ، وَإنْ لَبِسَتْهُ لَمْ يَكُنْ عَلَيْكَ شيْءٌ، فَجَلَسَ الرَّجُلُ حَتىّ طَالَ مَجْلِسُهُ، ثُمّ قَامَ فَرَآهُ رَسُولُ الله ﷺ مُوَلِّياً فَأَمَرَ بِهِ فَدُعِيَ فَلَمّا جَاءَ قَالَ : مَاذَا مَعَكَ مِن الْقُرْآنِ ؟ قَالَ : مَعِي سُورَةُ كَذَا وَسُورَةَ كَذَا وَسُورَةَ كَذَا وعَدّها، قال : أَتَقْرَؤُهُنّ عَنْ ظَهْرِ قَلْبِكَ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ قَالَ : اذْهَبْ فَقَدْ ملكتُكها بِمَا مَعَكَ مِن القُرْآنِ» [١]

---

(١) البخارى كتاب فضائل القرآن / باب القراءة عن ظهر القلب حـ ٦ / ٢٣٧ وكذا باختصار فى الباب الذى قبله وكتاب النكاح / باب تزويج المعسر حـ ٧ / ٨ و ١٩ و ٢٦ .

وقد تكرر الحديث المذكور فى مواضع عدة من صحيح البخارى فذكره فى كتاب النكاح / باب تزويج المعسر لقوله تعالى (إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله)/ وفى باب تزويج المعسر الذى معه القرآن والإسلام / وفى باب التزويج على القرآن وبغير صداق ٢٦/٧ ، وفى كتاب فضائل القرآن / باب «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» وباب القراءة عن ظهر القلب ٢٣٧/٦، كتاب اللباس ٢٠٢/٧ .

وانظر ما كتبه ابن حجر عن تعدد رواياته فى فتح البارى حـ ٩ / ١١٢ - ١١٣

معانى المفردات:

صعّد النظر إليها وصوّبه المراد أنه نظر أعلاها وأسفلها والتشديد إما للمبالغة فى التأمل وإما للتكرير

طأطأ رأسه بمعنى صمت.

الدراسة والتحليل :

فى مجلس من مجالس رسول الله ﷺ وقد حفل المجلس بصفوة من أصحابه جاءت امرأة وعرضت نفسها عليها قائلة : «جئت لأهب لك نفسي» والمعنى : جئت لأهب لك أمر نفسى ، فالحقيقة غير مرادة ، لأن رقبة الحر لا تملك ، فكأنها قالت : أتزوجك من غير عوض.

وقد اختلف فى اسمها هل هى خولة بنت حكيم أم أم شريك[1].

فنظر إليها رسول الله ﷺ ثم تركها ولم يجبها بشئ فكان صمته ﷺ داعياً إلى أن تجلس حتى يقضى فى أمرها فقام رجل من أصحابه «فقال: يا رسول الله إن لم يكن لك بها حاجةٌ فزوّجنيها» .

ويظهر من روايات الحديث أنها جلست طويلا إذ فى بعضها «جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فَعَرَضَتْ نفسها عليه، فقال لها اجلسى ، فجلست ساعةً ثم قامت ، فقال : اجلسى بارك الله فيك ، أما نحن فلا حاجة لنا فيك»[2].

وهذا المشهد من القصة يعطينا أن المرأة كانت على جانب كبير من الأدب فهى مع شدة رغبتها لم تبالغ فى الإلحاح لطلبها ، وفهمت من السكوت عدم الرغبة ، لكنها لم تيأس من الرد وجلست تنتظر الفرج ، كما أن سكوته ﷺ إما حياء من مواجهتها بالرد وهو الذى «كان أشد حياءً من العذراء فى خِدْرها» أو كان انتظاراً للوحى ، أو كان تفكراً فى جواب يناسب المقام.[3]

(١) انظر فتح البارى حـ ٩ / ١١٣.
(٢) انظر فتح البارى حـ ٩ / ١١٤.
(٣) السابق نفسه .

فَرَدّ الرسول ﷺ على من طلب هذه المرأة قائلا : «هل عندك من شئ»؟ أى لتصدقها إياه .. والمعنى هل عندك شئ يصح أن يكون صداقا لها . لقد أقسم هذا الصحابى أنه لا يملك شيئاً . فأرسله رسول الله ﷺ إلى أهله ليلتمس عندهم ولو خاتما من حديد.. فلم يجد عندهم شيئاً ..

ثم عرض الرجل إزاره ليكون صداقاً ، ولكن كيف يعطيها إزاره الوحيد ويجلس هو بلا إزار ، «ماله رداء» إن أعطاها إياه ، يقول الرجل «فلها نصفه» يعنى الإزار .

فيبين له الرسول ﷺ أن ذلك مما لا يجعل نصفين فهى لا تستفيد به ، فلو شقته لم يسترها ، ولو لبسه كاملا لم تستفد هى به «ويحتمل أن يكون المراد بالنفى نفى الكمال لأن العرب قد تنفى جملة الشئ إذا انتفى كماله ، والمعنى لو شققته بينكما نصفين لم يحصل كمال سترك بالنصف إذا لَبِسْتَهُ ولا هي» [1].

ولكن ما المخرج مع ضيق ذات اليد ، وقلة المال فى مجتمع يرضى بالقليل ، كله قناعة توصى المرأة فيه زوجها ألا يكسب إلا حلالاً ، القرآن فيه أنشودة كل مسلم ومسلمة يردده الغنى والفقير ، والصغير والكبير والرجل والمرأة على السواء ، ويَرِنّ صداه فى كل مكان فى المسجد والمنزل، وفى المزرعة والمتجر ، وفى الحضر والسفر وفى السلم والحرب ، وفى الليل والنهار حتى ليروى أن بيوت الصحابة رضوان الله عليهم كان يُسْمَعُ لها فى الأسحار دويٌ كدوى النحل بالقرآن ، وأن المرأة كانت ترضى - وهى فرحة مسرورة - أن يكون مهرها سورة من القرآن يحفظها إياها زوجها .

---

(١) فتح البارى حـ ٩ / ١١٥.

لقد جلس الرجل حتى اذا طال مجلسه قام فرآه الرسول ﷺ خارجاً فأمر به، فَدُعِيَ له، فلما جاء سأله الرسول ﷺ ماذا معك من القرآن ؟ فذكر الرجل أن معه سوراً من القرآن يحفظها عن ظهر قلب ، هو صادق فيما قال ، إنه أمام من يتنزل الوحى عليه إن معه سورة البقرة وسورة المفصل ، جاء فى حديث أمامه «زَوّج النبى ﷺ رجلاً من أصحابه امرأة على سورة من المُفَصّل جعلها مهرها وأدخلها عليه وقال : عَلّمْهَا .

وفى حديث آخر : «عَلّمْهَا عشرين آيةً وهى امرأتُكَ».

ومثله «هل تقرأ من القرآن شيئا ؟ قال : نعم (إنَا أَعْطَيْنَاكَ الكَوْثَرَ) قال : أصدقها إياها».

فلعل الرواة حفظ بعضهم ما لم يحفظ الآخر فى هذه القصة الواحدة ، أو لعل القصص متعددة.[1]

نعم كان القرآن شفيعا لهذا الرجل ، وهو مهر عظيم عند من عرفوا قدره ، وهل هناك أفضل من رسول الله ﷺ ليكون ولياً فى هذا الزواج القرآني؟!

لقد تولى بنفسه هذا الزواج فقال له : «اذهب فقد ملكتكها بما معك من القرآن » وفى رواية «فقد زوجتكها » وفى أخرى «فقد أنكحتكها » فمضى الرجل وهى تتبعه.

وكل هذه الألفاظ مراده وهى مترادفة على شئ واحد هو الزواج .. به التمكين والإنكاح والتمليك .

وجاءت القصة بهذه الصياغة الجميلة وبهذا الحوار وبالعقدة والحل وبأشخاصها الذين استجابوا لله والرسول وكونوا أسراً مسلمة وقدموا للمجتمع المسلم رجالاً لم ولن يرى التاريخ لهم مثيلا .

---

(١) انظر هذه الروايات فى فتح البارى حـ ٩ / ١١٦.

ما أعظم الأدب الذى تحلى به أهل الخير فى شخصيات القصة وما أجمل الرضا بالقليل ، وما أعظم القرآن فى نفوس أصحاب النبى عليه الصلاة والسلام .

انظر إلى الصياغة فى استخدام الأفعال (فصّعد النظر إليها وصوّبه) وما دل عليه تضعيف الفعل وصياغة الفعل (طَأْطَأَ رَأْسَهُ) على وزن فعلل.

واحتراس الصحابى وأدبه فى قوله «يا رسول الله إن لم يكن لك بها حاجةٌ فزوجينها ».

وعدم التكليف بغير المستطاع فى طلب الولى : «هل عندك من شئ» فاستخدام (من) هنا لطلب ما يمكن أن يُعَدّ شيئا ولو كان قليلاً .

وقوله «التمس ولو خاتما من حديد» لو هنا تقليلية وإعطاء الفرصة للتفكير فى ترك رسول الله ﷺ المرأة فترة ، وترك الرجل الذى طلبها فترة ليفكر «فجلس الرجل حتى طال مجلسه» وندائه حينما رآه مُوَلّياً. وفى هذا دعوة لعدم التسرع ، بل لا بد من التفكر والتروي.

وجاءت القصة لتعطينا دروساً نافعة فى أنه لا حد لأقل المهر[1] ، وأن الهبة فى النكاح خاصة بالنبى ﷺ لقول الرجل «زوجنيها» ولم يقل «هبها لي» ولقولها هى «وَهَبْتُ نفسى لك» وسكت ﷺ على ذلك فدل على جوازه له خاصة مع الآية الكريمة .

وأن الإمام يُزَوِّجُ من ليس لها ولى خاص لمن يراه كفؤاً لها مع رضاها حتى تعيش مع من تحب ، والنبى ﷺ يُزَوِّجُ من شاء من النساء بغير استئذانها لمن شاء فهو أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، وجواز تأمل المرأة لإرادة تزويجها ، ولا بد فى النكاح من الصداق،

(١) انظر هذه القضية بتفصيل عند ابن حجر فى فتح البارى حـ ١١٧/٩.

واستحباب تعجيل تسليم المهر، وجواز الحلف للتأكيد ، وجواز اتخاذ خاتم من جديد ، وجواز جعل المنفعة صداقا كالتعليم وتحفيظ القرآن ، وكان الاسلام مهراً فى بعض حالات الزواج «تَزَوَّجَ أبو طلحة أمّ سليم فكان صَدَاقُ مَا بَيْنَهُمَا الإسْلَامُ» [1]، كما يؤخذ من القصة أيضا أن من رغبت فى الزواج ممن هو أعلى منها لا عار عليها أصلا ، ولا سيما إن كان هناك غرضٌ صحيح أو قصد صالح إما لفضل دينى فى المخطوب أو كانت تحبه وتخشى من السكوت عنه الوقوع فى محذور .

وأن الفقير يجوز له نكاح من علمت بحاله ورضيت به إذا كان واجداً للمهر وكان عاجزاً عن غيره من الحقوق، وأن طالب الحاجة لا ينبغى له أن يلح فى طلبها ، بل يطلبها برفق وتأنٍ ، فالرفق لا يكون فى شئ إلا زَانَهُ ولا يُنْزَعُ من شئ إلا شانه ، ويدخل فى ذلك طالب الدين والدنيا كالمستفتى والسائل وطالب الخدمة وطالب العلم ، ونظر الإمام فى مصالح رعيته وإرشاده إلى ما يصلحهم . والمراوضة فى الصداق ، وخِطْبَةُ المرء لنفسه .

(١) أخرجه النسائى وترجم عليه «التزويج على الإسلام».

التماس العذر لمن تغار

عَنْ أَنَسٍ قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَ بَعْضِ نِسَائِهِ، فَأَرْسَلَتْ إِحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِين بِصَحْفَةٍ فِيهَا طَعَامٌ فَضَرَبَتْ الَّتِي النَّبِي ﷺ فِي بَيْتِهَا يَدَ الْخَادِمِ فَسَقَطَتْ الصَّحْفَةُ فَانْفَلَقَتْ فَجَمَعَ النبى ﷺ فِلَقَ الصَّحْفَةِ، ثُمَّ جَعَلَ يَجْمَعُ فِيهَا الطَّعَامَ الَّذِي كَانَ فى الصَّحْفَةِ وَيَقُولُ : غَارَتْ أُمكم، ثم حُبِسَ الخَادِمِ حتى أُتِيَ بِصَحْفَةٍ مِن عندىَ التى هو فِي بَيْتِهَا، فَدَفَع الصَّحْفَةَ الصَّحِيحةَ إلى التى كُسِرَتْ صَحْفَتُهَا وَأَمْسَكَ المَكْسُورَةَ فى بَيْتِ التى كُسِرَتْ.(١)

الدراسة والتحليل :

فى بيت رسول الله ﷺ كانت تحدث أمور خاصة نقلت إلينا عن طريق زوجاته ﷺ، أو خَدَمِهِ . وقد تَزَوَّجَ ﷺ بأمر ربه أكثر من زوجة ، وكان أول زواجه بالسيدة خديجة بنت خويلد بن أسد رضى لله عنها.

ولم يتزوج رسول الله ﷺ غيرها فى حياتها حتى مضت لسبيلها(٢). فلما توفيت خديجة تزوج رسول الله ﷺ بعدها فاختلف فيمن بدأ بنكاحها منهن بعد خديجة، فقال بعضهم كانت التى بدأ بنكاحها بعد خديجة قبل غيرها عائشة بنت أبى بكر(٣).

ومما تجدر معرفته أن كل زوجة كان لزواجه ﷺ منها مغزيً ونفعاً للإسلام وتشريعاً للمسلمين. تزوج من قريش ستا من النساء : وهن خديجة، وعائشة، وحفصة ، وأم حبيبة، وسَوْدة بنت زمعة بن قيس، وأم سلمة، وكانت زينب بنت جحش أسدية(٤).

---

(١) البخارى كتاب المظالم / باب اذا كسر قصعة حـ ١٧٩/٣، وكتاب النكاح باب الغيره حـ ٤٦/٧.
والصحفة : قصعة مبسوطة قد تكون من الفخار وغيره. انفلقت الصحفة ، الفلق : الشق.
غارت أمكم : من الغيرة وهى ثورة النفس والمرأة غَيْرَى.
(٢) تاريخ الطبرى حـ ١٦١/٣. تحقيق محمد ابو الفضل ط دار المعارف .
(٣) السابق نفسه .
(٤) انظر تفسير ابن كثير/ سورة الأحزاب حـ ٤ / ٤٢٥ ط الشعب، وكذا تاريخ الطبرى حـ ٢ / ١٦٠ وما بعدها.

والقصة التى معنا يرويها خادم بيت النبوة أنس بن مالك رضى الله عنه الذى يقول : خدمت النبى ﷺ عَشْرَ سنين فما قَالَ لِيَ أفٍ قط ولا لشئٍ فَعَلْتُه لم فَعَلْتَهُ ، ولا لشئ تَرَكْتُه لِمَ تَرَكْتَهُ» قصة حدثت ترينا بعض صور الغَيْرة بين أمهات المؤمنين ، وتوقفنا على حسن خلقه ﷺ وإنصافه وحلمه . وشخصيات القصة غير رسول الله ﷺ وأنس خادمه، زوجتان من أمهات المؤمنين كان زواجهما بوحى ولكل منهما مكانة عظيمة فى نفس رسول الله ﷺ ونفوس الصحابة رضوان الله عليهم .

الأولى السيدة عائشة بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهما : الصديقة بنت الصديق، التى جاءت الأحاديث فى فضلها . ذكر البخارى عن عائشة رضى الله عنها قالتْ : قال رسول الله ﷺ يوماً يا عَائِشُ، هذا جبريلُ يُقْرِئُكِ السّلاَمَ، فقلتُ وعليه السلامُ ورحمة الله وبركاتُه، تَرَىَ مَالا أرىَ تريد رسول الله ﷺ» [1]

وعن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: كَمُلَ من الرِّجَالِ كَثيرٌ ، ولَمْ يَكْمُلْ من النّسَاءِ إلاَّ مَرْيَمُ بنتُ عِمْرَانَ وآسيةُ امرأةُ فِرْعَوْنَ ، وفضلُ عائشةَ على النساءِ كَفَضْلِ الثّرِيد عَلَى سَائِرِ الطعَامِ» [2] .

وقال رسول الله ﷺ لبعض نسائه مبينا فضل عائشة : «فَإِنّهُ واللهِ مَا نَزَلَ عَلَيَّ الوَحْيَ وَأَنَا فِي لِحَافِ امرأةٍ مِنْكُنَّ غيرُهَا » [3] .

---

(١) البخارى كتاب المناقب حـ ٥/ ٣٦.

(٢) البخارى السابق نفسه ، الثريد كان من أطيب أنواع الطعام عند العرب، وهو الخبز مفتوتا مع اللحم والحساء .

قال الشاعر:

إذا ما الخبز تأدمه بلحم فذاك أمانة الله الثريد

(٣) البخارى كتاب المناقب حـ ٣٧/٥.

والسيدة عائشة كان مولدها فى الاسلام قبل الهجرة بثمان سنين أو نحوها ، ومات النبى ﷺ وسنها ثمانية عشر عاما وقد حفظت عنه شيئاً كثيراً ، وعاشت بعدة قريباً من خمسين سنة فأكثر الناس الأخذ عنها ونقلوا عنها من الأحكام والآداب شيئا كثيراً حتى قيل إن ربع الأحكام الشرعية منقول عنها رضى الله عنها،[1] وقد ذكر الطبرى أن رسول الله ﷺ «تزَوّجها قبل الهجرة بثلاث سنين وهى ابنة سبع سنين، ودَخَلَ بها بعد أن هاجر إلى المدينة وهى ابنة تسع سنين فى شوال»[2] وعلى هذا فقد كانت ولادتها قبل الهجرة بعشر سنين .

«وكانت عائشة رضى الله عنها فرعاً بسق فى أسرة مؤمنة لها قدم صدق فى السبق إلى الاسلام، والجهاد فى سبيل نصرته .

واشتهرت عائشة رضى الله عنها بالأدب الجَمّ، والخلق الكريم، والعقل الحصيف ، كما اشتهرت بالعلم والتقوى والورع ، ولئن كات أصغر نساء الرسول ﷺ - لقد استطاعت ن تتعدى بعمرها العقلى مستوى لدأتها وأترابها ، وأن تكون قدوة ومثالاً فى الخلق والسلوك ، وأن تؤدى عن الرسول ﷺ - ما تلقت من علم ، وتبلغ عنه ما سمعت من مقالة »[3].

أما الزوجة الثانية فهى السيدة زينب بنت جحش رضى الله عنها ، كانت زوجة زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ ، ولم تلد له شيئاً ، وفيها أنزل الله عَزّ وجَلّ قوله : (وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِى أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ واتّقِ اللهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ

(١) انظر فتح البارى حـ ٧ / ١٣٤ .
(٢) تاريخ الطبرى حـ ٣ / ١٦٤ .
(٣) د. محمد الأحمدى ابو النور : منهج السنة فى الزواج ص ٢٨٣ و ٢٨٤، ط دار التراث، الأولى سنة ١٩٧٢.

مَا اللـهُ مُبْدِيـه وَتَخْشَى النَّاسَ واللـهُ أَحَقّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْلاً يَكُونَ عَلَى المُؤْمِنِـينَ حَرَجٌ فِى أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِم إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً وَكَانَ أَمْرُ اللّـهِ مَفْعُولاً » [1] فَزَوَّجَهَا الله إياه ، وبعث فى ذلك جبريل، وكانت تفخر على نساء النبى ﷺ وتقولُ : أَنَا أَكْرَمُكُنَّ وَلِيّاً ، وأَكْرَمُكُنَّ سَفِيراً » [2] وكان هذا الزواج فى السنة الخامسة من الهجرة [3] ، ولئن وجد فى بعض روايات التاريخ أباطيل تتعلق بهذا الزواج فقد فنّدها العلماء وأثبتوا عدم صحتها ، فهى روايات مدخولة على الإسلام ونبيه تحمل معها دلائل زيفها وعلامات ضعفها ، سواء فى ذلك ما يتعلق فيها بالسند أم ما يتعلق بما فيها مما لا يليق بمقام النبوة ، أو يستحيل صدوره عن النبى ﷺ الذى كان «أشَدّ حياءً من العَذْراءِ فى خدْرها » [4] .

وكانت السيدة زينب تتمتع بالخلق القويم ، والنسك والتقوى والزهد والورع ، وكانت صالحة صوامة قوّامة ، كثيرة الصدقة على المساكين ، نقل ابن حجر عن محمد بن كعب قَالَ: كان عطاء زينب بنت جحش اثنى عشر ألفاً ، لم تأخذه إلا عاماً واحداً فَجَعَلَتْ تقولُ : اللهم لا يُدْرِكُنى هذا المال من قابل، فإنه فتنةٌ، ثم قَسَّمَتْهُ فى أهل رحمها ، وفى أهل الحاجة فبلغ عُمَرَ فقالَ : هذه امرأةٌ يُرَادُ بها خَيْرٌ ، فَوَقَفَ عليها وأرسل السَّلاَمَ وقالَ : بلغنى ما فَرَّقْتِ ، فَأَرْسلُ بألفٍ تستبقينها ، فسلكتْ به ذلك المسلك! .

وقد نَوّه النبى ﷺ بطول باعها فى الصدقة فقال :

« أَسْرَعُكُنّ لحاقًا بي، أَطْوَلُكُنّ يَداً» فكان يعنيها توفيت سنة عشرين ، وكانت أول

(١) سورة الأحزاب الآية ٣٧.
(٢) تاريخ الطبرى حـ ١٦٥/٣.
(٣) السابق حـ ٥٦٢/٢.
(٤) انظر نقد هذه الرواية عند الدكتور محمد الأحمدى أبو النور فى «منهج السنة فى الزواج» ص ٢٩٦.

امرأة من أمهات المؤمنين توفيت بعده[١]. وكانت السيدة عائشة رضى الله عنها تقول : ذَهَبَتْ حميدةً فقيدةً مَفْزَعُ اليتامى والأرامل»[٢].

والقصة التى معنا حدث فيها أن أهدت السيدة زينب بنت جحش طعاماً إلى النبى ﷺ وأرسلته إلى بيت السيدة عائشة مع خادم لأن رسول الله ﷺ كان عندها ولكن الحديث أبهمها ولم يذكر اسمها تفخيما لشأنها ، ولا يخفى ولا يلتبس انها هى ، لأن الهدايا إنما كانت تُهْدى إلى النبى ﷺ فى بيتها[٣]. ولعل الصحفة كان فيها خبز ولحم ولم تملك السيدة عائشة نفسها لأنها كانت تصنع طعاماً على عَجَل فدفعتها الغَيْرَةُ أن تأتى بحجر صغير وتفلق به الصحفة.

إن عائشة كانت صغيرة وكانت تحب رسول الله ﷺ حُبّاً شديداً، وكان يحبها وهو القائل: «اللَّهُمَّ هَذَا قَسْمِى فيما أَمْلِكُ فَلا تُؤَاخِذْنِى فيما لاَ أَمْلِكُ» وكان أمهات المؤمنين يستملحن منها هذه المواقف، بل تنازلت إحداهن عن ليلتها للسيدة عائشة . وقد حدث أنها كسرت صحفة أم سلمة وصفية وحفصة ، عن عائشة قالت : «كان رسول الله ﷺ مع أصحابه فَصَنَعْتُ له طعاماً، وصَنَعَتْ له حفصةُ طعاماً فسبقتنى فقلتُ للجارية انطلقى فأكفئى قَصْعَتَهَا ، فأكفأتها فانكسرتْ وانتشرَ الطعَامُ، فجمعه على النّطع فَأكَلوا، ثم بَعَثَ بقصعتى إلى حَفْصَةَ فقال : خُذُوا ظرفاً مكانَ ظرفكم» [٤].

(١) ابن حجر : تهذيب التهذيب جـ ١٢/ ٤٢٠، ٤٢١ .
وصحيح مسلم / كتاب النكاح / باب زواج زينب بنت جحش جـ ٢/ ١٠٤٨، وكتاب فضائل الصحابة ١٠١.
(٢) منهج السنة فى الزواج ص ٣٠١.
(٣) فتح البارى جـ ٥ / ١٤٩.
(٤) رجاله ثقات كما قال ابن حجر فى فتح البارى جـ ١٤٩/٥ وقد ذكر فيه قصة كسر القصعة للسيدة صفية وأم سلمة رضى الله عنهن جميعا .
والنطع : بساط من الجلد. المعجم الوسيط جـ ٩٦٨/٢.

والروايات تشير إلى أن القصة انشقت ثم انفصلت فضمها رسول الله ﷺ أن جمع فلق الصحفة وجعل يجمع فيها الطعام وهو يقول : «غَارَتْ أُمّكُمْ» أى غارت السيدة عائشة، وتلك طبيعة النساء . والخطاب فى (أمكم) لمن حضر ، وقال الداودى «المراد بقوله «أمكم» سارة، وكأن معنى الكلام عنده لا تتعجبوا مما وقع من هذه من الغيرة فقد غارت قبل ذلك أمكم حتى أخرج إبراهيم ولده إسماعيل وهو طفل مع أمه إلى وادٍ غير ذى زرع»[1] وقد استغربه ابن حجر وبين أن جميع الشراح على أن المراد كاسرة الصحفة. [2]

والقصة ترشد إلى أمور كثيرة منها :

أولاً : حسن خلقه ﷺ وإنصافه وحلمه ، ورفقه فى معاملة زوجاته ، إذ الرفق لا يكون فى شئ إلا زانه ، ولا ينزع من شئ إلا شانه .

ثانياً : هديه ﷺ فى معاملة الزوجات وتوقع مثل ذلك منهن لغيرتهن وهو القائل : «اسْتَوصُوا بِالنِّسَاءِ خيراً ، فإنكم أَخَذْتُمُوهُنّ بأمانة الله ، واستحللتم فُرُجَهُن بكلمة الله».

ثالثاً: إشارته ﷺ إلى عدم مؤاخذة الغيراء بما يصدر منها لأنها فى تلك الحالة يكون عقلها محجوباً بشدة الغضب الذى أثارته الغيرة ، إذ «أن الغيراء لا تبصر أسفل الوادى من أعلاه»[3].

رابعاً : قوله ﷺ : «غارت أُمّكُم» اعتذار منه ﷺ لئلا يحمل صنيعها على ما يذم، بل يجرى على عادة الضرائر من الغَيْرَة فإنها مركبة فى النفس بحيث لا يقدر على دفعها .

وختاماً جاء فى حديث السيدة عائشة رضى الله عنها أنها قالت:

(١) فتح البارى حـ ٩ / ٢٣٦ .
(٢) السابق نفسه .
(٣) حديث أخرجه أبو يعلى بسند لا بأس به عن عائشة مرفوعا ، انظر فتح البارى حـ ٩ / ٢٣٦ .

«فضلت على نساء النبى ﷺ بعشر ، قيل : ما هن يا أم المؤمنين؟ قالت:

* لم ينكح بكراً قط غيري.

* ولم ينكح امرأة أبواها مهاجران غيري.

* وأنزل الله عز وجل براءتى من السماء .

* وجاء جبريل بصورتى من السماء فى حريرة وقال: تَزَوْجَهَا فإنها امرأتك.

* وكنت أغتسل - أنا وهو - من إناء واحدٍ ، ولم يكن يصنع ذلك بأحد من نسائه غيري.

* وكان يصلى وأنا معترضة بين يديه ولم يكن يفعل ذلك بأحد من نسائه غيري.

* وكان ينزل عليه الوحى وهو معي، ولم يكن ينزل عليه وهو مع أحد من نسائه غيري.

* وقبض الله نفسه وهو بين سَحْرِى ونَحْرى .

* ومات فى الليلة التى كان يدور عليَّ فيها .

* ودفن فى بيتي. [1]

---

(١) منهج السنة فى الزواج ص ٢٨٥.

جاء في البخاري « بابُ ما يُكْرَهُ من اتّخاذِ المسَاجدِ على القُبُورِ وَلَمّا مَاتَ الحَسَنُ بنُ الحَسَين بنِ عَليٍّ رَضيَ اللهُ عَنْهُم ضَرَبَتْ امْرَأتُهُ القُبّةَ عَلَى قَبْرِهِ سَنَةً ثُمّ رُفِعَتْ ، فَسَمِعُوا صَائِحاً يَقُولُ : ألا هَلْ وَجَدُوا مَا فَقَدُوا ، فَأجَابَهُ الآخَرُ : بَلْ يَئِسُوا فَانْقَلَبُوا » [1].

الدراسة والتحليل :

الحديث عن أهل البيت النبوى حديث مشرق ومضئ من أى النواحى أتيناه ، والعترة النبوية رجالاً ونساء عترة طيبة، وإجلالها ضرورة لكل مسلم ومسلمة وحبها واجب على كل مسلم ومسلمة وقد قال الله تعالى : (إنّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) [2] وقال أيضا :

(قُلْ لا أسْألُكُم عَلَيْهِ أجْراً إلاّ المَوَدّةَ فِى القُرْبَى) [3].

والمراد بالقربى : الأقارب . ورويت عدة أحاديث تبين فضل أهل البيت ، منها عن أم سلمة قالت : جَاءَتْ فاطمة إلى رسول الله ﷺ ببُرْمَةٍ لها قد صَنَعَتْ فيها عَصِيدةً تحملها على طَبَقٍ ، فوضعتها بين يديه فقال : أين ابن عمك وابناك؟ فقالتْ : فى البيت ، فقال : «ادعيهم» فجاءت إلى عَليٍّ فقالت : أجب رسول الله أنت وأبناك. قالت أم سلمة : فلما رآهم مقبلين مَدّ يده إلى كساء كان على المنامة ، فَمَدّهُ وبَسَطه ، وأجلسهم عليه ، ثم أخَذَ بأطراف الكساء الأربعة بِشَمَالِهِ، فضمّه فوق رءوسهم ، وأومأ بيده اليمنى إلى ربّه عزّ وجلّ

(١) البخارى كتاب الجنائز حـ ١١١/٢، باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور، والمراد بالقبة: الخيمة ، وجاء فى موضع آخر بلفظ الفسطاط.

(٢) سورة الأحزاب الآية ٣٣.

(٣) سورة الشورى الآية ٢٣.

فقال : «اللهم هؤلاء أَهْلُ بيتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»[1]. وقال رسول الله ﷺ : «أُذَكِّرُكُم الله فى أهل بيتي، أذكركم الله فى أهل بيتى ثلاثاً»[2].

وقد شاع حب آل البيت بين أصحاب رسول الله ﷺ فيروى أن الرسول ﷺ كان جالساً فى المسجد وحوله أصحابه ، فجاء عليٌّ لينضم للجماعة، ولما لَحَظَهُ أبو بكر تزحزح عن مجلسه وأخلى لعليٍّ مكاناً وهتف به : ها هنا يا أبا الحسن فجلس عليٌّ بين الرسول ﷺ وأبى بكر ، وعُرِف البِشْرُ فى وجه رسول الله ﷺ وقال لأبى بكر : «يا أبا بكر إنما يعرف الفضل من الناس ذوو الفضل».

وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه خَطَبَ أُمّ كُلْثُوم بنت على بن أبى طالب وتزوّجها وهو يقول : أَرَدْتُ أن أَشْرُفَ بصلة مصاهرةٍ مع عترة الرسول ﷺ .

وأرسل الإمام الحسين رضى الله عنه مَرَّةً إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه يذكر له أنه يريد أن يحضر إليه ليحادثه فى أمر مهم فاستجاب عمر، وردّ بأنه يُرَحِّبُ بِمَقْدَمِه ، وجاء الإمام الحسين فلما صار قريباً من بيت عمر قابله عبدالله بن عمر، فسأله الحسين عن أبيه ، فأجاب عبدالله قائلاً : إنى استأذنتُ لمقابلته فلم يُؤْذَنْ لى ، فظن الإمام الحسين أن مانعاً طرأ على الخليفة جعله يعتكف عن لقاء الناس ، فعاد دون أن يواصل مسيرته إلى الخليفة . والتقى الخليفة بعد فترة بالإمام الحسين فسأله : لماذا لم تحضر لى ؟ فأجاب الحسين : عَرَفْتُ فى الطريق من عبد الله بن عمر أنه لم يؤذن له عليك فرجعت . فقال عمر فى تأثر : وهل أنت مثله؟ وهل أنت مثله؟

---

(١) تفسير الطبرى حـ ٢٢/٦-٧ وابن كثير حـ ٤٠٩/٤ ط الشعب .
والبرمة : قدر من حجارة وجمعه بُرَم وبِرامَ وبُرْم.
والعصيدة : دقيق يُلَتّ بالسمن ويطبخ.
(٢) صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة / باب من فضائل على رضى الله عنه، حـ ١٢٢/٧-١٢٣.

وجاء عبدالله بن الحسين بن عليّ إلى عمر بن عبدالعزيز رضى الله عنهم جميعا ليسأله حاجةً له ، فأحسن عمر استقباله وقضى حاجته ، وقال له : عندما تكون لك حاجة أرسل إليّ رسولاً أو اكتب لى بحاجتك ، فإنى أستحى من الله أن يراك على بابي[1]. هكذا كات مكانة آل البيت عند الصحابة والتابعين ، وهكذا تكون عند الأخيار من الناس.

والإمام الحسن وأخوه الإمام الحسين سيدا شباب أهل الجنة فى الجنة. روى البخارى عن أبى بكرة رضى الله عنه قال : أخرج النبى ﷺ ذاتَ يومٍ الحَسَنَ فَصَعدَ به على المنبر فقال : ابنى هذا سَيّدٌ، ولعل الله أن يُصْلِحَ به بين فئتين من المسلمين»[2] وعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : عَانَقَ النبى ﷺ الحَسَنَ»[3] وعن أسامة بن زيد رضى الله عنهما عن النبى ﷺ أنَّهُ كَانَ يَأخُذُه والحَسَنَ ويقول : اللهم إنّى أُحِبُهُمَا فَأحِبْهُمَا » [4] وعن أنس ابن مالك رضى الله عنه أنه لما أُتىَ عُبَيْدُ الله بن زيَاد برأس الحُسَيْن بن على عليه السلام فَجُعِلَ فى طسْتٍ فَجَعَلَ يَنْكُتُ ، وقال فى حُسْنه شَيئاً ، فَقَالَ أَنَسُ : كَانَ أَشْبَهَهُمْ بِرسول الله ﷺ وكَانَ مَخْضُوباً بالوَسْمَةِ»[5] وعن عقبة بن الحارث قال : «رَأَيْتُ أبا بكر رضى الله عنه وَحَملَ الحسَنَ وَهُوَ يَقُول: بِأَبِى شَبِيهٌ بالنبي. لَيْسَ شَبِيهٌ بِعَليّ. وَعَليّ يَضْحَكُ»[6] وعن ابن عمر رضى الله عنهما قَالَ : «قَالَ أبو بَكْرٍ: أَرْقُبُوا محمداً ﷺ فى أَهْلِ بَيْتِه»[7].

وروى أن رجلا من أهل العراق سأل ابن عمر رضى الله عنهما عن قتل الذباب فقال:

---

(١) انظر: نماذج من السيدات المسلمات / من بيت النبوة : أحمد شلبى ص ٧ ، ٨، مكتبة النهضة المصرية .

(٢) البخارى / كتاب علامات النبوة حـ ٤/ ٢٤٩ وكتاب المناقب حـ ٣٢/٥.

(٣) البخارى كتاب المناقب حـ ٥ / ٣٢. (٤) السابق نفسه.

(٥) السابق حـ ٥/ ٣٣ والمراد أشبه أهل البيت ، ويقال : خَضَبَ الشعر واللحية أى غير لونه بالخِضَاب، والوسمة نبت يختضب به يميل إلى السواد.

(٦)البخارى / كتاب المناقب ٣٣/٥.

(٧) السابق نفسه.

أهل العراق يسألون عن الذباب وقد قتلوا ابن ابنة النبى ﷺ. وقال النبى ﷺ : هما ريحانتاى من الدنيا »[1] «والريحان: جنس من النبات طيب الرائحة من الفصيلة الشفوية، وكل نبت طيب الرائحة »[2].

شَبّه الحسن والحسين بذلك لأن الولد يشم ويقبل، وله عند والديه ريح طيب لا يُعَادِلُهُ شيءٌ آخر. وقد هيأتهما العناية الربانية للإمامة والقيادة، وتربيا فى بيت النبوة وسمعا الحديث من جدهما ﷺ ، ولازما والديهما الإمام عليا رضى الله عنه ، والسيدة فاطمة البتول رضى الله عنها ، وكانا رهبان الليل فرسان النهار، كان الحسن صَوّاماً قَوّاماً، وهو العابد الذى حج بيت الله الحرام عشرين مرة ماشيا على قدميه وإبله تُقَادُ من بين يديه ويقول تواضعاً لله : إنى أستحى أن أذهب إلى بيت الله الحرام راكباً .

وكان الإمام الحسين كذلك رضى الله عن ال البيت أجمعين .

ولد الإمام الحسن فى رمضان سنة ثلاث من الهجرة، ومات بالمدينة مسموماً سنة خمسين. وولد الإمام الحسين فى شعبان سنة أربع من الهجرة، وقتل يوم عاشوراء شهيداً سنة إحدى وستين بكربلاء[3].

والقصة التى معنا بطلاها من هذا البيت الكريم فالزوج هو الحسن بن الحسن بن على رضى الله عنهم كان عابداً صالحاً راوياً لحديث الرسول ﷺ ، وكان وَصِيّ أبيه، وحضر مع عمه الحسين كربلاء فحماه أسماء بن خارجه الفزاري[4]، وكانت وفاته سنة (٩٧) سبع وتسعين، وهو من ثقات التابعين، وروى له النسائي[5].

---

(١) الحديث فى البخارى كتاب المناقب حـ ٣٣/٥ برواية مقاربة لهذه الرواية وانظر واياته فى فتح البارى حـ ١٢٤/٧.

(٢) المعجم الوسيط (روح) حـ ١ / ٣٩٤.

(٣) ابن حجر : فتح البارى حـ ١٢٠/٧.

(٤) تهذيب التهذيب حـ ٢٦٣/٢.

(٥) فتح البارى حـ ٢٣٨/٣.

والزوجة هي فاطمة بنت الحسين ابنة عمه التي كانت مثلاً أعلى لصاحبة النفس الكريمة والقلب النقي، والضمير الحيّ والحرص الشديد على الوفاء الذي لا يعادله إلا الحرص على الوفاء، والوفاء غريزة في نفوس بعض الناس وهم لا يستطيعون أن يكونوا غير أوفياء مهما تألّبت عليهم الدنيا ، أو تغيرت بهم الظروف والأحوال . فالوفاء من طباعهم التي شبّت وترعرت معهم ، وشتّان بين الوفيّ بطبعه ، وبين المتطبع بالوفاء .!!

وهؤلاء الأوفياء لا يتغيرون كما أن أهل الغدر من أصحاب النفوس المريضة ، والضمائر الميتة لا يتغيرون حتى ولو صنعت معهم ما صنعت ، ولو أفنيت معهم كل شيء في الحياة . قال الشاعر :

وَمُكَلِّفُ الأيامِ ضِدَّ طباعها   مُتَطَلِّبٌ في الماءِ جَذْوَةَ نَارِ

ومن أول أسباب الوفاء بين الزوجين التجانس ، فإن قوي، قوى الائتلاف به ، والحرص عليه، وإن ضعف كان التآلف ضعيفا ؛ وقد ثبت أن التجانس هو القاعدة التي يقوم عليها الائتلاف والتآلف بين الناس، وقد بَيَّن لنا الرسول ﷺ ذلك في قوله : «الأرواح جنودٌ مُجَنَّدَةٌ، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف»[1].

وهيهات أن تتفق الأضداد أو تفترق الأشكال :

فَلا تَحْتَقِرْ نَفْسِي وأَنْتَ خَلِيلُهَا   فَكُلُّ امرىءٍ يَصْبُو إلى مَنْ يُشَاكِلُ

وهذه المعاني السامية التي يتلمسها الناس من أول وهلة ومن النظرة الأولى ، وهذا ما يسمونه بتجاوب الأرواح والقلوب، ولن يستطيع الوصول إلى هذه المرتبة إلا من كان وفياً ومطبوعاً على الوفاء لا متكلفا ذلك أو متصنعاً له، وتستطيع الزوجة أن تقول

(١) البخاري كتاب الأنبياء / باب الأرواح جنود مجنده حـ ١٦٢/٤.

لزوجها إنها وَفِيّة، ويستطيع الزوج أن يقول لزوجته إنه وَفِيٌ بل هو الوفاء نفسه ، ولكن العبرة بالمواقف ، وبالفعل لا بالقول .

وقد صور حَسّان بن ثابت ذلك أحسن تصوير في قوله :

أخِلاّءُ الرّخاءِ هم كثيرُ ولكن في البلاء هم قليلُ

فلا يَغْرُرْكَ خُلّةُ من تؤاخي فما لك عِنْدَ نائبةٍ خليلُ

وكُلّ أخٍ يقولُ أنا وَفِيٌ ولكن ليس يَفْعَلُ مَا يَقُولُ

لقد مات الزوج الصالح ففجعت زوجته الوفية ، فموته عندها مصيبة كبري، وخرجت وتركت بيتها ، وذهبت إلى المقابر ، وضربت خيمة أقامت فيها . لم يحدث ذلك يوماً أو يومين ، أو شهراً أو شهرين ، بل ظلت على هذه الحالة سنة كاملة ، وإنما ضربت الخيمة هناك للاستمتاع بالميت بالقرب منه ، وذلك تعليلاً للنفس وتخيلا باستصحاب المألوف من الإنس ، وهو الزوج الصالح الوفي، وذلك يشبه ما يحدث من المحبين في الوقوف على الأطلال البالية ، ومخاطبة المنازل الخالية .

إن أهل الود والوفاء يمرون على الديار فيقبلونها ، وهم لم يشغلوا بالديار.. فما حب الديار شغف قلوبهم ولكن حب من سكن الديار..

ولكن إذا جاء الموت فلا يريح النفوس من عنائها ، ولا يزيل عنها كروبها إلا الصبر على قضاء الله وقدره ، ولو كان الحزن والبكاء يرجع أحداً لرجع رسول الله ﷺ لحزن أصحابه عليه ، وهو القائل : «لتُعزّ المسلمين في مصائبهم المصيبةُ بي»[1] وقال الحكماء: أحق ما صُبِر عليه مالا سبيل إلى رده .

(١) رواه الطبراني في كتاب الجنائز وبمعناه في سنن الدارمي حـ١/ ٤٠ ط بيروت.

الصبر مطلوب وهو أنجع علاج، وللوفاء حد يقف عنده... لقد ظلت السيدة فاطمة بنت الإمام الحسين على هذه الحال إلى أن جاءت الموعظة على لسان الهاتِفيْنِ بتقبيح ما صنعت .. لقد رفعت خيمتها وسمعت هى ومن كان معها صائحاً يقول : «ألاَ هَلْ وَجَدُوا مَا فَقَدُوا »؟ استفتاح وتنبيه بدأت به العبارة واستفهام إنكارى وفيه النفي.

فأجابه الآخر مضرباً عما فعلوا قائلاً: «بَلْ يَئِسُوا فَانْقَلَبُوا » أى يئسوا من عودة من مات فرجعوا إلى بيوتهم .

والهاتفان كما قال ابن حجر : «كأنهما من الملائكة، أو من مؤمنى الجن» [1]

وختاماً نسأل الله أن يرضى عن آل البيت أجمعين ونردد قول الإمام الشافعى رضى الله عنه :

يــا آل بَيْتِ رَسُولِ الـلـــه حُبّكُمُ ... فَرْضٌ مـن الـلـه فـى الـقـرآن أَنْزَلَهْ

يـكـفـيـكُمُ مـن عـظـيـمِ الـفَخْرِ أنّكُمْ ... مَنْ لَمْ يُصَلِّ عـلـيـكـم لا صَلاَةَ لَهْ

(١) فتح البارى حـ ٣/٢٣٨.

أحق ما صبر عليه

عَن أُسَامَةَ بن زَيْدٍ رَضي اللـهُ عَنْهُمَا قَالَ : أَرْسَلَتْ ابْنَةُ النبي ﷺ إِلَيْهِ إنّ ابناً لي قُبِضَ فَائْتِنَا فَأَرْسَلَ يُقْرِئُ السّلَامَ وَيَقُولُ : إِنّ للـه مَا أَخَذَ وَلَهُ مَا أَعْطَى، وكُلٌّ عِنْدَهُ بأَجَلٍ مُسَمّى فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ تقسم عَلَيْهِ لَيَأْتِيَنّهَا فَقَامَ وَمَعَهُ سَعْدُ بنُ عُبَادَةَ، وَمُعَاذُ بنُ جَبَلٍ، وَأُبَيّ بنُ كَعْبٍ، وزَيْدُ بنُ ثَابِتٍ وَرِجَالٌ فَرُفِعَ إلى رَسُولِ اللـه ﷺ الصَّبِيّ وَنَفْسُهُ تَتَقَعْقَعُ، قَالَ : حَسِبْتُهُ أَنّهُ قَالَ : كَأَنّهَا شَنّ فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، فَقَالَ سَعْدٌ : يَا رَسُولَ اللـه مَا هَذَا ؟ فَقَالَ ؛ هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللـهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ وَإِنّمَا يَرْحَمُ اللـهُ مِنْ عِبَادِهِ الرّحَمَاءَ » (١)

الدراسة والتحليل :

لكل امرئ في هذه الحياة أجل محدود، متى استوفاه فارق هذه الحياة الدنيا بمتاعبها ومشاكلها، والآخرة بلا مراء خير وأبقى.. ولكن الفراق صعب على النفس «وكفى بالموت مفرقا» وقد تعلم السلف الصالح أن الحياة الدنيا مهما طالت تنتهي، وأن الأحياء مهما عُمّروا يموتون فاستقر في وجدانهم أن الدنيا زوال فقطعوا منها الآمال، وأن الآخرة خلود فشدوا إليها الرحال. فأمام هذا الابتلاء وهو الموت قابلوا الأحداث ببصيرة مستنيرة، واستعداد كامل فأراحوا أنفسهم وقابلوا قدر الله بالتسليم والرضا.

---

(١) البخاري كتاب الجنائز / باب قول النبي ﷺ يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه حـ ٢/ ١٠٠.
وكتاب القدر / باب (وكان أمر الله قدراً مقدورا) حـ ٨ / ١٥٣.
وكتاب الأيمان والنذور / باب قول الله تعالى (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) حـ ٨/١٦٦ - ١٦٧.
وكتاب الطب / باب عيادة الصبيان حـ ٧ / ١٥١ - ١٥٢.
معاني المفردات :
تقعقع أو تتقعقع أي تضطرب وتتحرك، وقيل معناه كلما صار إلى حال لم يلبث أن يصير إلى غيرها وتلك حالة المحتضر.

والقصة التى معنا تحكى واقعة حدثت لإحدى بنات رسول الله ﷺ هى السيدة زينب رضى الله عنها نظرت إلى ابنها الصغير «على بن أبى العاص بن الربيع» أو ابنتها أمامة[1] وهو يجود بأنفاسه الأخيرة ، يضطرب نفسه ويتغير من حال إلى حال إذ هو فى الاحتضار ، المنظر محزن ، والعين تدمع ، والقلوب منفطرة فصاحت بالدعاء والاسترحام، وطلبت أباها لعل الرسول ﷺ يتوجه بدعوة إلى السماء فيرحم الله أما ضعيفة ويفدى طفلا صغيرا فالدموع سالت ، وجاء من أرسلته إلى أبيها يقرئها السلام ، ويعطيها بيانا بأمور ثلاثة ما أحوج المسلم والمسلمة إلى الأخذ بها فى هذه المواقف الصعبة أعنى فقد الأحبّة.

أولاً: لله ما أخذ ولله ما أعطى فقدّم ذكر الأخذ على الإعطاء - وإن كان متأخراً فى الواقع - لما يقتضيه المقام ، والمعنى أن الذى أراد الله أن يأخذه هو الذى كان أعطاه، فإن أخذه أخذ ما هو له فلا ينبغى الجزع .

وما المال والأهلون إلا ودائع ولا بد يوماً أن ترد الودائع

ويحتمل أن يكون المراد بالإعطاء هنا إعطاء الحياة لمن بقى بعد الميت ، أو إعطاء الثواب، فله سبحانه الأخذ وله الإعطاء .

ثانياً : أن الأمور تجرى بمقادير وليس لإنسان كائناً من كان دَخْلٌ فيها ، «وقد جفّت الأقلام وطويت الصحف» ولذا قال لها «وكُلٌّ عنده بأجل» أى كل من الأخذ والإعطاء ، وكل شيء فى الكون عنده بأجل ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ولاَ يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [2].

ومعنى العندية هنا (عنده) العلم فهو من مجاز الملازمة والأجل يطلق على الحد الأخير ، وعلى مجموع العمر ثم إن الأجل (مُسَمىً) أى معلوم مُقَدّر .

(١) هكذا وقع خلاف فى تحديد الصغير للسيدة زينب، ويرجح ابن حجر أن المرسلة زينب وأن الولد صبية كما فى مسند الإمام أحمد. انظر فتح البارى حـ ١٨٦/٣.
(٢) سورة النحل الآية ٦١.

ومن هنا فواجب المؤمن أن يقابل قدر الله بالرحب والدعة .

ثالثاً : «فلتصبر ولتحتسب» وهل هناك شئ أعظم من الصبر إذا استحكمت الأزمات ، وترادفت الضوائق؟! لا إن الصبر فضيلة يحتاج إليها المسلم فى دينه ودنياه ، وقد قال رسول الله ﷺ «الصبر ضياء» وقال أيضا: «وما أعطى أحَدٌ عَطاءً خَيْراً وَأَوْسَعَ مِن الصَّبْر» [1] وقال الصالحون :

الصَّبْرُ مِثْلُ اسمِهِ مُرٌ مَذَاقَتُهُ

لكنْ عَوَاقِبُهُ أَحْلَى مِن العَسَلِ

وقد تكرر الأمر به فى كثير من آيات القرآن الكريم ، وجاء فى معجم ألفاظ القرآن الكريم أن : «الصبر هو فى الأصل الحبس المادي، ومنه استعمل فى المعنوى من حبس النفس على كذا أو حبسها عن كذا ، فالصبر حبس النفس على ما يقتضيه العقلُ والشرعُ، والصبر حبس النفس عما يقضى العقلُ والشرعُ منع النفس منه ، وحبس النفس أى ضبطها معنى عام ينتظم الكثير من الفضائل»[2].

يقول الله تعالى مخاطبا حبيبه ﷺ : (فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولو العَزْمِ مِن الرّسُلِ) [3] (وَاصْبِرْ فَإِنَّ الله لاَ يُضيعُ أجْرَ المحْسنينَ) [4] (واصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إلاَّ بالله) [5] (وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ)[6].

بل أمره بالصبر الجميل، وبين عاقبة الصابرين وحسن جزائهم، وأكد الله أن ابتلاء الناس أمر لا مَفَرّ منه ، ولا يستفيد من هذه النوازل إلا المؤمنون الصادقون يقول الله

---

(١) رواه البخارى
(٢) المعجم (صبر) ص ٣٤٦ دار الشروق
(٣) سورة الأحقاف الآية ٣٥
(٤) هود الآية ١١٥
(٥) النحل الآية ١٢٧
(٦) المدثر الآية ٧

تعالى: (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشيءٍ مِنَ الخَوْفِ والجُوعِ وَنَقْصٍ مِن الأَمْوَالِ والأَنْفُسِ والثَمَرَاتِ وَبَشِّرْ الصَّابِرِينَ. الذِينَ إذَا أَصابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إنَا للهِ وإنَا إلَيْهِ رَاجِعُونَ. أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمْ المُهْتَدُونَ) [١].

وقال سبحانه : (واسْتَعِينُوا بالصَّبْرِ والصَّلاةِ) [٢].

وجاء فى أدعية القرآن (رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِين) [٣]، وبين سبحانه إحسان الصابرين وعظيم ثوابهم فقال (إنَهُ مَنْ يَتَقِ وَيَصْبِرْ فَإنَّ الله لاَ يُضِيعُ أَجْرَ المُحْسنِينَ) [٤] وبين أنه يضاعف أجر الصابرين فقال (أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا) [٥] بل ذكر سبحانه ما يدل على أن ثواب الصبر على قدر صبر الصابرين وحسن تسليمهم فقال سبحانه : (إنَّمَا يُوَفى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ) [٦].

وبَيَّن أيضا أن ثمن الجنة هو الصبر على طاعة الله ، والصبر عن معصية الله ، والصبر على ما يؤلم من قدر الله فقال سبحانه : (أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيها تَحيةً وَسَلاماً. خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَراً وَمُقَاماً) [٧].

وقال ابن تيمية : «بالصبر واليقين تُنَالُ الإمامة فى الدين» . قال الله تعالى : (وَجَعَلْنَا مِنْهُم أَئِمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ) [٨].

لقد أمرها رسول الله ﷺ أن تصبر وأن تحتسب ومعنى الاحتساب أن تنوى بصبرها طلب الثواب من ربها ليحسب لها ذلك من عملها الصالح .

---

(١) سورة البقرة من الآية ١٥٥ حتى الآية ١٥٧.
(٢) البقرة الآية ٤٥
(٣) الأعراف ١٢٦.
(٤) يوسف ٩٠.
(٥) القصص ٥٤
(٦) الزمر ١٠
(٧) الفرقان ٧٥ ، ٧٦
(٨) السجدة ٢٤

هذه بداية القصة بهذا الحدث الذى كان اللبنة الأولى فى مرحلة البداية من مراحل هيكل القصة العام «وإذا كانت المقدمات فى النصوص تعطى القصص حيوية معينة بما تقدمه للقارئ من مشوقات تجعله يقبل على القصة» [1] فإن الوسط يشكل نقطة هامة جداً، «ومن هنا فإن الوسط فى القصة مرحلة نامية ومتطورة أصلاً عن بداية القصة وهذا يعبر عن أن هناك علاقة وثيقة بين البداية والوسط مما يؤكد التلاحم العضوى بين مرحلتين هامتين فى بناء هيكل القصة العام ، فالبداية تحمل فى تضاعيفها الأسباب التى يمكن أن تحدث عنها مضاعفات تالية، وبتلك الدوافع النابعة من البداية ينشأ موقف جديد» [2].

لقد بدأت القصة برسالة السيدة زينب إلى أبيها سيدنا رسول الله ﷺ أن ابنها يموت فيرسل إليها بأمور ثلاثة مع إقرائها السلام، ويأتى المشهد الثانى حينما ترسل إليه وتقسم عليه ليأتينها «وقع فى رواية أنها راجعته مرتين وأنه إنما قام فى ثالث مرة ، وكأنها ألحت عليه فى ذلك دفعاً لما يظنه بعض أهل الجهل أنها ناقصة المكانة عنده ، أو ألهمها الله تعالى ان حضور نبيه عندها يدفع عنها ما هى فيه من الألم ببركة دعائه وحضوره فحقق الله ظنها ، والظاهر أنه امتنع أولاً مبالغة فى إظهار التسليم لربه» [3].

هنا قام رسول الله ﷺ وقام معه رجال ، فلما قعد رفع إليه الصبي، فأقعده النبى ﷺ فى حجره «ونَفْس الصبى تقعقع كأنها شَنٌ أو كأنها فى شَنٍ»، والقعقعة: حكاية صوت الشئ اليابس إذا حُرِك، والشن : القِرْبَة الخلقة اليابسة.

---

(١) انظر القصص فى الحديث النبوى : محمد بن حسن الزير ص ١٠٢ ط السلفية بمصر / الأولى سنة ١٩٧٨.

(٢) القصص فى الحديث النبوى : محمد بن حسن الزير ص ١٠٥.

(٣) فتح البارى حـ ١٨٧/٣.

«وعلى الرواية الثانية شبه البدن بالجلد اليابس الخلق، وحركة الروح فيه بما يطرح من الجلد من حصاة ونحوها، وأما الرواية الأولى فكأنه شبه النفس بنفس الجلد وهو أبلغ فى الإشارة إلى شدة الضعف، وذلك أظهر فى التشبيه»[1].

إن الرحمة المهداة ﷺ تأثر لهذا المشهد الرهيب فبكى وفاضت عيناه بالدموع فقال له سعد بن عبادة : أتبكى وتنهى عن البكاء يا رسول الله ؟ فبين له وللأمة الإسلامية كلها أن هذه الدمعة أثر رحمة وأن هذا الذى يفيض من الدمع من حزن القلب بغير تعمد من صاحبه ولا استدعاء لا مؤاخذة عليه، وإنما المنهى عنه هو الجزع وعدم الصبر، «وإنما يرحم الله من عباده الرحماء» ومقتضى ذلك أن رحمة الله تختص بمن اتصف بالرحمة وتحقق بها بخلاف من فيه أدنى رحمة .

تلك هى نهاية القصة وهى فى قوة بدايتها ، فقد أتيح لها من مقومات القوة وعناصرها ما يجعلها تضارع البداية فى امتلاكها للمتلقي، وتأثيرها عليه ، والنهاية جزء مهم فى كيان القصة له قيمته الحاسمة فى تقدير القصة والحكم عليها .[2]

وهى هنا تشتمل على تفسير للأحداث التى سبقت ، ولغرابة البكاء واستغراب الصحابى منه ، ودعوة للرحمة فالراحمون يرحمهم الرحمن.

وقد جاءت هذه القصة تحمل فى طياتها دروساً نافعة وكررها الإمام البخارى فى عدة مواضع من صحيحه . ومن ذلك :

أولاً : التسليم والرضا بقضاء الله وقدره وهو سبحانه «فَعّال لما يريد».

---

(١) فتح البارى ص ١٨٧، ١٨٨.

(٢) انظر القصص فى الحديث النبوى ص ١١٠.

ثانياً : جواز استحضار أهل الفضل والخير لمن هو فى حالة الاحتضار لرجاء بركتهم ودعائهم ، وجواز القسم عليهم لذلك.

ثالثاً : جواز المشى إلى التعزية وعيادة المريض بغير إذن .

رابعاً : استحباب إبرار القسم ، وأمر صاحب المصيبة بالصبر قبل وقوع الموت ليقع وفى نفسه رضاً ومقامة للحزن بالصبر.

خامساً : إخبار من يستدعى بالأمر الذى يستدعى من أجله ، وتقديم السلام على الكلام ، وعيادة المريض ولو كان مفضولاً أو صبياً صغيراً .

سادساً : أن أهل الفضل لا ينبغى ان يقطعوا الناس عن فضلهم ، ولو ردوا أول مرة .

سابعاً : استفهام التابع من إمامه عما يشكل عليه مما يتعارض ظاهره مع حسن الأدب فى السؤال .

ثامناً : الترغيب فى الشفقة على خلق الله والرحمة لهم والترهيب من قسوة القلب وجمود العين .

تاسعاً : جواز البكاء من غير نوح ولا لطم خد، ولا شق جيب .

ونرى فى هذه القصة جمال الصياغة وروعة الاسلوب والتشويق والإثارة ، وتعليم الناس الخير . مع الايجاز . من ذلك «فقام ومعه.... فرفع إلى رسول الله ﷺ الصبى» فيه حذف تقديره فمشوا إلى أن وصلوا إلى بيتها فاستأذنوا فأذن لهم فدخلوا فرفع .

والتعبير بـ «نفسه تتقعقع» فيه مناسبة اللفظ لمعناه إذ الفعل فيه تقطيع مناسب لحال المحتضر ويدل على التكرير. وفى تشبيهه جمال وهو أبلغ فى الإشاة إلى شدة الضعف أعنى قوله «كأنها شن».

وفى قوله : «إنما يرحم الله من عباده الرحماء» أتى بالرحماء جمع رحيم وهو من صيغ المبالغة ، لأن لفظ الجلالة دال على العظمة فناسب ذكر من كثرت رحمته وعظمته ليكون الكلام جاريا على نسق التعظيم .

فيالها من قصة عظيمة ودروس رائعة وختاماً : فإن أحق ما صُبِرَ عليه ما لا سبيل إلى رَدِّه.

القرآن ومن اهتدوا بهديه



تمهيد :

جاءت هذه القصص تحت عنوان «القرآن ومن اهتدوا بهديه» لتوضح ما وقع للصحابة الذين امتزج القرآن بقلوبهم وأرواحهم ، وملك عليهم مشاعرهم فكان خلقهم القرآن ، واهتدوا بهديه فأراهم الله كرامات استحقوها ، ولنا فيهم أسوة حسنة ، وقدوة طيبة.

لقد رأوا السكينة تتنزل عند قراءة القرآن ، ورأوا أثر القرآن فى خشوع الدواب ، ورأوا الملائكة تظلهم وتغشاهم رحمات الله ، ثم تجلى أدبهم فى مخاطبة الرسول ﷺ كما حدث فى قصة نزول سورة الفتح . وتحملهم المشاق فى سبيل الدفاع عن هذا الدستور الخالد وجمعه وحفظه وصيانته كما فى قصة جمع القرآن الكريم ، وبطولة زيد بن ثابت فى هذا الأمر ، وكذا تعلم أدب الدعاء كما فى قصة «إنما تدعون سميعاً بصيرا» والنور الحسى الذى أضاء للصحابة فى ليلة مظلمة ، ليدل ذلك على استنارة قلوبهم بالقرآن ، فمن استنار قلبه أنارت له الدنيا كلها .

تنزل السكينة عند قراءة القرآن

عـن الـبَرَاء بـن عَازِب قَالَ : كَانَ رَجُلٌ يَقْرَأُ سُورَةَ الـكَهْفِ وَإِلـيَ جَانِبِهِ حِصَانٌ مَرْبُوطٌ بِشَطَنَيْنِ ، فَتَغَشَّتـهُ سَحَابَةٌ، فَجَعَلَتْ تَدْنُو وَتَدْنُو وَجَعَلَ فَرَسُهُ يَنْفِرُ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَتى النَّبيَّ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ : تِلْكَ السَّكِينَةُ تَنَزَّلَتْ بِالقُرْآنِ »[1]

الدراسة والتحليل :

القصة التى معنا وما تلاها من قصص يدور حول فضائل القرآن يدعونا الى معرفة شئ عن القرآن الكريم ومكانته وإعجازه أولا، ثم نتعرض لهذه القصص بالدراسة والتحليل.

والقرآن الكريم هو «اللفظ العربى المنزل على سيدنا محمد ﷺ المنقول إلينا بالتواتر، المتعبّد بتلاوته والمتحدى بأقصر سورةمنه» هكذا عرفه أحد علمائنا الكبار[2]. وكان الأولى أن يقول «هو كلام الله المنزل» إلى آخر ما ذكره.

وقد تركه فينا رسول الله ﷺ بعد أن لحق بالرفيق الأعلى نوراً ساطعاً، وهديا بالغاً، وحجة قائمة لا يضل ولا يشقى من اتبعه، ولا يهتدى ولا يسعد مَن حاد عنه، وهو «قائم بذاته، غير مخلوق، ولا حال فى المصاحف، ولا فى القلوب والألسنة بل معنى قديم قائم بذات الله تعالي، مكتوب فى مصاحفنا بنقوش وصور وأشكال موضوعة للحروف الدالة عليه»[3].

(١) البخارى كتاب فضائل القرآن حـ ٢٣٢/٦ وفى رواية «تتنزل» بدل «تنزلت» باب فضل الكهف ، الشطن : الحبل الطويل، تغشته سحابة يعنى أظلته، والرجل هو أسيد بن حضير.
(٢) الشيخ محمود شلتوت : الإسلام عقيدة وشريعة ص ٤٧١.
(٣) القسطلاني: لطائف الإشارات لفنون القراءات حـ ١٦/١ تحقيق الشيخ عامر عثمان ود. عبدالصبور شاهين ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

قال الله تعالى : ﴿إنَّهُ لَقُرآنٌ كَرِيمٌ . فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ. لاَ يَمَسّهُ إلاّ المُطَهَّرُونَ . تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ العَالَمِينَ﴾ [1].

وفضائل القرآن لا تعد ولا تحصي، وقد حملت الأسماء المترادفة عليه الإشارة الى فضائله، وبيان أثره فى إصلاح النفس البشرية، وسعادة الإنسانية. وقد كتب العلماء فى ذلك كتبا كثيرة. فهو القرآن ، والفرقان، والكتاب والذكر، والوحي، والتنزيل، والقصص، والروح، والمثاني، والهدي، والبيان، والتبيان، والموعظة، والرحمة والبشير، والنذير، والعزيز أى الذى لا يرام فلا يؤتى بمثله ، والحكيم أى المحكم، والمهيمن ، والشاهد والشفاء، والمجيد لشرفه على كل كلام ، والنور.

والقرآن هو ينبوع العلوم ومنشؤها ، ومعدن المعارف ومبدؤها، وهو أساس كل خير ، وبداية كل فضل وسبب كل سعادة .

روى الترمذى عن على كرم الله وجهه أنه قال : سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يقول : «ستَكُونُ فِتَنٌ كَقِطَعِ الليل المظلم قلتُ: يا رسول الله وما المخرجُ منها؟ قال : كتاب الله فيه نَبَأُ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفَصْلُ ليس بالهَزْلِ، من تركه من جبّار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضلّه الله ، وهو حبل الله المتين، ونوره المبين، والذكر الحكيم، والصراط المستقيم، وهو الذى لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة، ولا تتشعب معه الآراء، ولا يشبع منه العلماء، ولا يَمَلُّهُ الأتقياءُ، ولا يَخْلَقُ على كثرة الرد ولا تنقضى عجائبه، هو الذى لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا ﴿إنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً﴾ من علم علمه سَبَقَ ومن قال به صَدَقَ، ومن حَكَمَ به عَدَلَ، ومن عَمِلَ به أُجِرَ ومن دعا إليه هَدَى إلى صراطٍ مستقيم» [2].

(١) سورة الواقعة من الآية ٧٧ إلى الآية ٨٠.

(٢) الحديث رواه الترمذى وقواه القرطبي، انظر تفسيره حـ١/ ٤ ط الشعب.

وعن عثمان بن عفان رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : «خيركم من تَعَلّم القُرآنَ وَعَلّمَهُ» [1].

وذكر القرطبى أن أبا عبدالرحمن السّلَمى كان إذا ختم الشاب القرآن على يده أجلسه بين يديه ووضع يده على رأسه ، وقال له : يا هذا اتّقِ الله فما أعرفُ أحداً خيراً منك إن عملتَ بالذى علمتَ» [2].

وما أحوج الناس إلى الالتفاف حول القرآن الكريم لتدبر أحكامه وتفهم معانيه ، وجمع الناس حوله بدعوة البشر إليه وجمع بنى الدنيا عليه ، واجبنا نحن المسلمين محاربة كل من حاربه، ومسالمة كل من سالمه، والدفاع عنه بالوسائل التى توسل بها إلى ذلك أسلافنا الهداة من حفظه وفهمه وتدبره، والتزام تعاليمه ، وتنفيذ أحكامه.

قال الله تعالى : (إنّ هَذا القُرْآنَ يَهْدِى للتى هِيَ أقْوَمُ وَيُبَشّرُ المُؤْمنِينَ الذينَ يَعْمَلُونَ الصّالِحَاتِ أنّ لَهُم أجْراً كَبِيراً. وَأنّ الّذينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بالآخِرةِ أعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً ألِيماً) [3].

وقال أيضاً : (فَمَنْ اتّبَعَ هُدَاى فَلا يَضلّ وَلاَ يَشْقَى) [4].

وقال أحد الأدباء : «القرآن حجة على الملحد، وتبيان للموحد، وإمام يقوم بالفرائض والنوافل، وحاكم يرجع إليه العالم والجاهل».

وقال الرافعي: «القرآن آياتٌ مُنَزّلَةٌ من حول العرش فالأرض بها سماء هى منها كواكب، بل الجند الإلهى قد نشر له من الفضيلة علم، وانضوت إليه من الأرواح مواكب أغلقت دونه القلوب فاقتحم أقفالها ، وامتنعت عليه «أعراف» الضمائر فابتز «أنفالها»

---

(١) البخارى كتاب فضائل القرآن حـ ٦/٢٣٦.
(٢) تفسير القرطبى حـ ١/٥ ط الشعب.
(٣) سورة الإسراء الآيتان ٩ ، ١٠.
(٤) سورة طه ، الآية ١٢٣.

وكم صَدّوا عن سبيله صَدّاً ومن ذا يدافع السيل إذا هدر؟ واعترضوه بالألسنة رَدّاً، ولعمرى من يرد على الله القدر؟»[1].

وصدق ربنا حيث يقول: (قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا القُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً)[2].

والقصة التى معنا تحكى واقعة حدثت لأسيد بن حضير كان يقرأ القرآن وصحت روايتان فى هاتين القصتين فى الأولى أنه كان يقرأ سورة الكهف، وفى الثانية أنه كان يقرأ سورة البقرة. ويقول ابن حجر «ويحتمل أن يكون قرأ سورة البقرة وسورة الكهف جميعاً، أو من كُل منهما»[3] فكانت داره تُزْهِرُ بنور القرآن، والقرآن يحرك القلوب والجمادات، فهو لو نزل على جبل لرآه الإنسان خاشعاً متصدعاً من خشية الله.

سبحان الله لقد تحرك الفرس المربوط بالحبل الطويل الغليظ الشديد الصعوبة وجعل الفرس ينفر أى يتحرك ويضطرب ويجول كلما سمع القرآن وجعلت السحابة التى تغشاه تقرب منه وتقرب.. لقد عجب أسيد بن حضير لذلك وأتى رسول الله ﷺ بعد أن أصبح الصباح فذكر له ما رأى فقال له النبى ﷺ «تلك السكينة تنزلت للقرآن»، فالسكينة هى «الهدوء وطمأنينة القلب وخشوعه»[4] وجاء فى القرآن الكريم لفظ «سكينة» مرة واحدة فى قول الله سبحانه (إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ»[5].

---

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص ٢٥ ط الثانية سنة ١٩٦٩مصر
الأعراف: الأمكنة العالية، والأنفال الغنائم وهما اسمان لسورتين فى القرآن الكريم.
(٢) سورة الإسراء الآية ٨٨.
(٣) فتح البارى حـ ٦٧٥/٨.
(٤) معجم ألفاظ القرآن الكريم ص ٣٠٣، إصدار مجمع اللغة العربية ط الشروق.
(٥) سورة البقرة الآية ٢٤٨.

أى فيه ما تسكن له قلوبكم وتطمئن وتؤمن ، وجاء لفظ «السكينة» مرتين قال الله تعالى (هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ) [1] أى أقر طمأنينة الإيمان والثبات. وقال أيضا (فَعَلِمَ مَافِى قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ)[2] أى الثبات واطمئنان القلوب. وجاء لفظ «سكينة» ثلاث مرات قال الله تعالى (ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ) [3] أى الثبات وطمأنينة القلب.

وهناك تفسيرات غريبة للسكينة ، وما أجمل تفسيرها «بالرحمة والطمأنينة، وسكون القلب، والوقار، والريح الهفافة والملائكة»[4] ولعل اللفظ مشترك للدلالة على هذه المعاني، وهو يدل على واحد منها حقيقة، وعلى الباقى مجازاً يقول ابن حجر : «والذى يظهر أنها مقولة بالاشتراك على هذه المعانى فيحمل كل موضع وردت فيه على ما يليق به»[5]

فالسكينة تتنزل على مجالس القرآن ومجالس العلم والذكر وعلى أهل القرآن والعلم والذكر هؤلاء هم المؤمنون الصادقون .

يقول الدكتور مصطفى محمود : «المؤمنون أهل حلم وصبر وتواضع وتسامح وحياء، «يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُم الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاَماً» ٦٣/ الفرقان تعرفهم بطول الصمت وتواصل الفكر ، وخفض الصوت والبعد عن الهرج والصخب والتلاعب. وتعرفهم بالتأنى والإتقان والإحسان فيما يعهد إليهم من أعمال، وتعرفهم بالدماثة ولين الطبع والصدق والوفاء والاعتدال فى الأخذ من كل شئ.

(١) سورة الفتح الآية ٤.
(٢) الفتح الآية ١٨.
(٣) وسورة التوبة الآية ٢٦، والآية ٤٠، والفتح الآية ٢٦.
(٤) فتح البارى حـ ٦٧٥/٨.
(٥) السابق نفسه.

وإذا كان لابد من اختيار صفة واحدة جامعة لطابع المؤمن لقلت هى السكينة ، فالسكينة هى الصفة المفردة التى تدل على ان الإنسان استطاع ان يسود مملكته الداخلية ويحكمها ويسوسها . وهى الصفة المفردة التى تدل على انسجام عناصر النفس والتوافق بين متناقضاتها وانقيادها فى خضوع وسلاسة لصاحبها ، وهو أمر لا يوهب إلا لمؤمن ، وأنت تقرأ هذه السكينة فى هدوء صفحة الوجه، ليس هدوء السطح بل هدوء العمق.. هدوء الباطن»[١].

وجاءت هذه القصة فى «باب فضل سورة الكهف» عند البخارى وعند مسلم فى «باب نزول السكينة لنزول القرآن»[٢]

وسورة الكهف مكية ورد أن النبى ﷺ قال عنها : «من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له النور ما بين الجمعتين»[٣]

وقال أيضا: «من قرأ أول سورة الكهف وآخرها كانت له نوراً من قدمه إلى رأسه. ومن قرأها كلها كانت له نوراً ما بين السماء إلى الأرض»[٤].

وعن أبى الدرداء عن النبى ﷺ قال : من حفظ عَشْرَ آياتٍ من أول سورة الكهف عصم من الدّجّال»[٥]

وروى أيضا: «من قرأ العشر الأواخر»[٦].

---

(١) د. مصطفى محمود : من أسرار القرآن ص ٤٣ ط دار المعارف .
(٢) صحيح مسلم حـ ١٩٣/٢ - ١٩٤.
(٣) رواه الحاكم فى المستدرك / تفسير سورة الكهف حـ ٣٦٨/٢.
(٤) مسند الإمام أحمد حـ ٤٣٩/٤.
(٥) مسند الإمام أحمد حـ ١٩٦/٥.
(٦) انظر تفسير ابن كثير لسورة الكهف.

وتأتي قصة أخرى تدل على نزول الملائكة لسماع القرآن هي:

عَنْ أُسَيْدِ بنِ حُضَيْرٍ قَالَ : بَيْنَمَا هُوَ يَقْرَأُ مِنَ اللَّيْلِ سُورَةَ الْبَقَرَةِ وَفَرَسُهُ مَرْبُوطَةٌ عِنْدَهُ إِذْ جَالَتِ الْفَرَسُ فَسَكَتَ فَسَكَتَتْ فَقَرَأَ فَجَالَتِ الْفَرَسُ، فَسَكَتَ وَسَكَتَتِ الْفَرَسُ، ثُمَّ قَرَأَ فَجالت الفَرَسُ فَانْصَرَفَ وَكَانَ ابْنُهُ يَحْيَى قَرِيباً مِنْهَا فَأَشْفَقَ أَنْ تُصِيبَهُ فَلَمَّا اجْتَرَّهُ رَفَعَ رَأْسَهُ إلى السَّمَاءِ حتّى مَا يَرَاهَا ، فَلَمَّا أَصْبَحَ حَدَّثَ النَّبِي ﷺ فَقَالَ : اقْرَأْ يَا ابن حُضَيْرٍ، اقْرَأْ يَا ابنَ حُضَيْرٍ، قَالَ : فَأَشْفَقْتُ يَا رَسُولَ اللهِ أَنْ تَطَأَ يَحْيَى وَكَانَ مِنْهَا قَرِيباً، فَرَفَعْتُ رَأْسِي وانْصَرَفْتُ إِلَيْهِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي إلى السَّمَاءِ، فَإِذَا مِثْلُ الظُّلَّةِ فِيها أَمْثَالُ المَصَابِيحِ، فَخَرَجَتْ حَتّى لاَ أَرَاهَا ، قَالَ : وَتَدْرِي مَاذَاكَ؟ قَالَ: لاَ، قَالَ : تِلْكَ الملائكَةُ دَنَتْ لِصَوْتِكَ، وَلَوْ قَرَأْتَ لأَصْبَحَتْ يَنْظُرُ النَّاسُ إِلَيْهَا، لاَ تَتَوَارَى مِنْهُمْ» [1].

الدراسة والتحليل:

وقد وضع البخارى لها عنواناً هو «باب نزول السكينة والملائكة عند قراءة القرآن» فلعل المراد بالظلة هنا السكينة، وقيل الظلة: السحابة ، والملائكة كانت فيها ومعها السكينة ، ومعلوم أن السكينة تتنزل دائما وأبداً مع الملائكة .

وأرى أن هذه قصة أخرى غير قصة فضل سورة الكهف ولا مانع من وقوع ذلك مرتين لهذا الصحابى الجليل أسيد بن حضير الذى كان من الأنصار ، وأحد النقباء ليلة العقبة، وكان شريفاً كاملاً فى قومه. قالت عائشة رضى الله عنها : «كان من أفاضل الناس» وذكره ابن إسحاق فيمن شهدوا بدراً. وتوفى سنة ٢٠ هـ»[2].

(١) البخارى كتاب فضائل القرآن / باب نزول السكينة والملائكة عند قراءة القرآن حـ ٢٣٤/٦.
(٢) انظر ترجمته فى تهذيب التهذيب حـ ٣٤٨/١ ط الهند ١٣٢٥هـ.

فأسيد كان يقرأ سورة البقرة، قيل في مربده يعني المكان الذي فيه التمر، وقيل كان يقرأ على ظهر بيته.[1] وأن ابنه يحيى كان إلى جانبه، وفرسه مربوطه فخشى أن تطأه إذ كان كلما قرأ جالت الفرس أي تحركت واضطربت فإذا سكت عن القراءة سكنت وسكتت وتكرر ذلك حتى خاف على ابنه الصغير أن تطأه وتصيبه، فلما اجْتَرّ ابنه من المكان الذي هو فيه حتى لا تطأه الفرس، وأخّره عن الموضع الذي كان به خشية عليه تعجب مما حدث، ورفع رأسه إلى السماء فإذا هي مُغَطاة لأن فيها مثل الظلة من الأنوار أمثال المصابيح المضيئة بنور عظيم متعرجة في الجو حتى ما يراها ..

لقد نام هذا الصحابي مشدوها ومدهوشاً مشغولاً ومتحيراً لا يعرف تعليلا لذلك.. ولكن هل هناك أحد يسأل في ذلك غير رسول الله ﷺ ؟

لا : لقد انتظر حتى الصباح ، فلما أصبح حدث النبي ﷺ بما رأى مفصلاً القول.. فقال له رسول الله ﷺ : وتدري ما ذاك ؟ قال : لا . نعم كيف يدري وهل يعرف ذلك إلا النبي ﷺ حبيب رب العالمين الموصول بالسماء.. والذي يكون كلامه خطاب الأرض بعد خطاب السماء .

قال له : «تلك الملائكة دنت لصوتك، ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها لا تتوارى منهم».

لقد نزلت الملائكة واقتربت لتستمع لصوت أسيد وكان حسن الصوت وذلك هو سر استماع الملائكة لقراءته.. والمطلوب من المسلم تزيين صوته بالقرآن ، جاء في بعض الروايات: «اقرأ أُسَيدُ فقد أُوتيتَ من مزامير آلَ دَاوُدَ» [2]

---

(١) فتح الباري جـ ٨/ ٦٨١.

(٢) فتح الباري جـ ٨/ ٦٨٢.

إن هذا الصحابى خاف على ولده وخشى إن استمر فى القراءة أن تطأ الفرس ولده فلما سأله الرسول ﷺ لماذا لم يستمر فى قراءته أجاب بعذره فى قطع القراءة .

«اقرأ يا ابن حضير» استحضار للصورة الماضية وكأنه يقول له : استمر على قراءتك لتستمر لك البركة بنزول الملائكة واستماعها لقراءتك. لقد كان أسيد رجلا خاشعاً لله تعالى مطواعاً أثر خشوعه فى سماع الملائكة وفى الفرس التى جالت .. لقد اقتربت الملائكة وتتابعت الأنوار ولو استمر فى قراءته لرأى الأعاجيب ولأصبحت الملائكة ينظر الصحابة إليهم لا يستترون لاستغراقهم فى الاستماع.

وجاءت القصة لتعطينا دروساً نافعة فى جواز رؤية المسلمين الصالحين القارئين للقرآن بالصوت الحسن للملائكة.

وفضيلة القراءة وعظيم منزلتها، والذى وصل إلى هذه المنزلة كان «عن قراءة خاصة من سورة خاصة بصفة خاصة» وليس ذلك العطاء لكل قارئ. وبيان عظيم منزلة ومنقبة أسيد بن حضير رضى الله عنه . وقد اختص الله هذا الصحابى الجليل بكرامات عظيمة منها ما ذكره البخارى فى كتاب المناقب من أن «أسيد بن حضير ورجلاً من الأنصار خرجا من عند النبى ﷺ فى ليلة مظلمة، وإذا نور بين أيديهما حتى تَفَرّقا، فتفرّق النور معهما»[1].

وفيها أيضا : فضل قراءة سورة البقرة فى صلاة الليل، وفضل الخشوع فى الصلاة. وقد عقد ابن كثير فى تفسيره فصلا ذكر فيه ما ورد فى فضل سورة البقرة ، وأنها سنام القرآن ، وأنها مطردة للشيطان ، نزل مع كل آية منها ثمانون ملكا من ملائكة الرحمن.

(١) سبق ذلك فى الحديث عن كرامات الصحابة وانظر فتح البارى حـ٧/١٥٦ والبخارى ٥/٤٤.

ومن ذلك قوله ﷺ : «لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، فإن البيت الذى يقرأ فيه سورة البقرة لا يدخله الشيطان»(١).

وسورة البقرة كلها مدنية بلا خلاف، وتشتمل على ألف خبر وألف أمر ، وألف نهي، وفيها آية الكرسى سيدة أى القرآن وخواتيمها التى نزلت من كنز تحت العرش.

روى الإمام احمد عن ابى امامة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: اقرءوا القرآن ، فإنه شافع لأصحابه يوم القيامة، اقرءوا الزهراوين: البقرة وآل عمران، فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غياتيان، أو كأنهما فِرْقان من طير صوافّ يحاجان عن أهلهما، ثم قال : اقرءوا البقرة فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البَطَلَة»(٢).

الزهراوان: المنيران الغيابة: ما أظلك من فوقك؛

الفِرْق ومثناه فِرْقان: القطعة من الشئ

الصواف : المصطفة المتضامة

البَطَلَة: السحرة ومعنى لا تستطيعها أى لا يمكنهم حفظها.

وروى مسلم والنسائى عن ابن عباس قال : بينا رسول الله ﷺ وعنده جبريل، إذ سمع نقيضاً فوقه ، فرفع جبريل بصره إلى السماء، فقال : هذا باب قد فتح من السماء، ما فتح قط قال: فنزل منه مَلَكٌ، فأتى النبى ﷺ ، فقال: أبشر بنورين قد أوتيتهما لم يؤتهما نبى قبلك فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ حرفاً منهما إلا أوتيته».

---

(١) رواه مسلم والترمذى والنسائى والإمام أحمد. وقال الترمذي: حسن صحيح، انظر تفسير ابن كثير جـ ٥١/١ ط دار الشعب.

(٢) الحديث رواه الإمام أحمد، ورواه مسلم فى الصلاة ، وأورده ابن كثير بأسانيده / تفسير ابن كثير جـ ٥٣/١.

وآية الكرسى لها شأن عظيم ، وهى أعظم آية فى كتاب الله تعالى. وقد ورد عن أبى بن كعب أن النبى ﷺ سأله : أى آية فى كتاب الله أعظم؟ قال : الله ورسوله أعلم. فرددها مراراً، ثم قال أبى : آية الكرسي. قال : ليَهْنك العلمُ أبا المنذر، والذى نفسى بيده، إن لها لساناً وشفتين، تُقَدّسُ المَلِكَ عند ساق العرش»[1].

جعل الله القرآن ربيع قلوبنا ، وأنار قلوبنا بنوره.

---

(١) صحيح مسلم / باب فضل سورة الكهف وآية الكرسى حـ٢/١٩٩ ومسند الإمام أحمد حـ٥/١٤١-١٤٢.

عمر بن الخطاب وسورة الفتح

عَنْ زَيْدِ بنِ أَسْلَمَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ يَسِيرُ فِى بَعْضِ أَسْفَارِهِ، وَعُمَرَ بنُ الخَطَّابِ يَسِيرُ مَعَهُ لَيْلاً فَسَأَلَهُ عُمَرُ عَن شَيْءٍ فَلَمْ يُجِبْهُ رَسُولُ الله ﷺ ثُمَّ سَأَلَهُ فَلَمْ يُجِبْهُ ثُمَّ سَأَلَهُ فَلَمْ يُجِبْهُ، فَقَالَ عُمَرُ : ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ نَزَرْتَ رَسُولَ الله ﷺ ثَلاثَ مَرَاتٍ كُلَّ ذَلِكَ لاَ يُجِيبُكَ، قَالَ عُمَرُ : فَحَرَكْتُ بَعِيرِى حَتَّى كُنْتُ أَمَامَ النَّاسِ وَخَشِيتُ أَنْ يَنْزِلَ فِيَّ قُرْآنٌ فَمَا نَشِبْتُ أَنْ سَمِعْتُ صَارِخاً يَصْرُخُ، قَالَ : فَقُلْتُ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ نَزَلَ فِيَّ قُرْآنٌ . قَالَ : فَجِئْتُ رَسُولَ الله ﷺ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ : لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ سُورَةٌ لَهِىَ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ ثُمَّ قَرَأَ : (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً)[1] .

الدراسة والتحليل :

العابد الأوابُ، شهيد المحراب، الذى تأدّب بأدب الكتاب هو عمر بن الخطّاب رضى الله عنه ، كان شديد الحساسية ، أوّاها شديد الخوف من الله تعالي، يبكى حتى كان لبكائه أثر على خديه بخطين أسودين ، وكان يحدث النبى ﷺ بصوت ضعيف كأنه يُسَارّه[2]، والقصة التى معنا تحكى لنا ما وقع عام الحديبية وقد حيل بين الصحابة وبين أداء النسك فدخل الحزن والكآبة على من كانوا يحبون البيت وقد اشتاقوا إلى الطواف به والسعى بين الصفا والمروة .

(١) البخارى كتاب فضائل القرآن حـ ٦/٢٣٢، وفى رواية «يصرخ بى» وكتاب التفسير / سورة الفتح حـ ٦/١٦٨.
(٢) أى كحال الوشوشة.

لقد خرج رسول الله ﷺ وفى صحبته المهاجرون والأنصار ومن لحق بهم من العرب، وكانت عدتهم ألفا وأربعمائة، وقد ساقوا الهدى أمامهم، ولم يحملوا من السلاح إلا السيوف فى أغمادها، وذلك لأنهم لا يريدون حرباً أو قتالاً ، وإنما يريدون زيارة المسجد الحرام وأداء نسك العمرة وكان ذلك فى أول ذى القعدة من السنة السادسة للهجرة، وحينما علمت قريش بخروج الرسول ﷺ والمسلمين للعمرة امتلأت نفوسهم بالغيظ والحقد، وداخلهم هَمّ عظيم وخوف شديد، لأنهم ظنوا أنها خدعة دبرها الرسول ﷺ ليتمكن من دخول مكة بعد ان صدهم عن دخول المدينة ، وصمموا على منعهم والوقوف فى سبيلهم، وجهزوا لذلك جيشا قويا على رأسه خالد بن الوليد وعكرمة بن أبى جهل اللذين شاء الله هدايتهما بعد ذلك ودخلا دين الله وكان لهما فى تاريخ الإسلام آثار خالدة.

وقد علم الرسول ﷺ بما فكرت فيه قريش فأراد أن يتجنب الشر والخطر، وأن يبعد بالمسلمين عن القتال ما داموا لم يتهيأوا له ولم يخرجوا من أجله ، فقال لأصحابه : هل من رجل يأخذ بنا على غير طريقهم؟ فقال رجل من قبيلة أسلم : أنا يا رسول الله ، فسار بهم فى طريق وعرة ثم خرج بهم إلى سهل مستو يحاذى مكة من أسفلها فلما رأى خالد ما فعل المسلمون رجع الى قريش وأخبرهم الخبر وبَيّن لهم أن محمداً لا ينوى شراً ، وأن سلوكه هو ومن معه من أصحابه يدل على حبهم للسلام ، ورغبتهم فى تحقيق الغاية التى خرجوا من أجلها وهى زيارة المسجد الحرام.(١)

وبركت ناقة رسول الله ﷺ عند ثنية (المُرَار) وهو مكان عند بئر الحديبية بينه وبين مكة قرابة عشرين كيلومتراً ويسمى الآن (الشميسى) فقال رسول الله ﷺ : «حبسها

(١) أ.د/ محمد الطيب النجار: القول المبين فى سيرة سيد المرسلين ص ٢٣٨.

حابس الفيل والذى نفس محمد بيده لا تدعونى قريش لخصلة فيها تعظيم لحرمات الله إلا أجبتهم إليها ».

ولا شك أن هذه الكلمة من الرسول ﷺ تشير إلى معنى كريم فطن إليه المسلمون واطمأنت إليه نفوس كثير منهم وهو أن الله لا يريد للمسلمين أن يؤدوا نسك العمرة فى هذه المرة ، ومن أجل ذلك حبس الناقة عن المضى إلى الكعبة ، وبذلك كف أيدى قريش عن المسلمين كيلا تنتهك حرمات البيت الذى أراد الله أن يكون - بعد عامين - حرماً آمنا، وأن يكون مثابة للمسلمين من كل فج يوطدون دعائم أخوتهم فى ظلاله الوارفة.[١]

وكان تبادل الرسل بين قريش ورسول الله ﷺ ، حتى اختير عثمان بن عفان رضى الله عنه رسولاً إلى قريش ومعه عشرة من المسلمين استأذنوا رسول الله ﷺ فى زيارة أقاربهم ، وحمل عثمان رسالة النبى ﷺ إلى قريش تفصح عن مقصده، والغرض الذى خرج من أجله ، وسمحوا له بالطواف فأبى - لأدبه - أن يطوف بالبيت ورسول الله ﷺ ممنوع منه ، ولما حبسوه شاع بين المسلمين أن عثمان قد قتل فكانت بيعة الرضوان التى تدل على مدى تضامن المسلمين والفناء فى سبيل العقيدة والمبدأ والتضحية من أجل الدين . تلك التى أنزل الله تعالى فيها : (لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُم فَتْحاً قَرِيباً)[٢].

وعطش الصحابة يوم الحديبية فأعطاهم رسول الله ﷺ سهما من كنانته فوضعوه فى بئر الحديبية ففارت بالماء حتى كَفَتْهُم، وورد أنه ﷺ وضع يده فى ذلك الماء فنبع الماء من

---

(١) د. النجار : القول المبين فى سيرة سيد المرسلين ص ٢٣٩.
(٢) سورة الفتح الآية ١٨.

بين أصابعه حتى ارتووا جميعا وكان عددهم خمس عشرة مائة كما فى الصحيحين[1]. أى كانوا ألفا وخمسمائة.

وعن ابن عمر رضى الله عنهما : أن الناس كانوا مع رسول الله ﷺ يوم الحديبية، وقد تَفَرَّقُوا فى ظلال الشجر فإذا الناس مُحْدِقُونَ بالنبى ﷺ فقال - يعنى عمر -، يا عبدالله انظر ، ما شأنُ الناس قد أحْدَقُوا برسول الله ﷺ . فوجدهم يبايعون ، فبايع ثم رجع إلى عمر فخرج فبايع»[2] وهى التى يتحدث الناس عنها أن ابن عمر أسلم قبل عمر.

وروى الإمام أحمد رضى الله عنه ، عن جابر ، عن رسول الله ﷺ، أنه قال : «لا يدخلُ النَّارَ أحدٌ ممن بايَع تحت الشجرة»[3].

والقصة التى معنا تتعلق بهذه الأحداث وبنزول سورة الفتح فقد «نزلت هذه السورة الكريمة لما رجع رسول الله ﷺ من الحديبية فى ذى القعدة سنة ست من الهجرة، حين صَدَّه المشركون عن الوصول إلى المسجد الحرام ليقضى عمرته فيه، وحالوا بينه وبين ذلك، ثم مالوا إلى المصالحة والمهادنة، وأن يرجع عامه هذا ثم يأتى من قابل، فأجابهم إلى ذلك على تَكَرُّه من جماعة من الصحابة، منهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه . فلما نحر هديه حيث أحصر ورجع أنزل الله عزّ وجَلّ هذه السورة فيما كان من أمره وأمرهم، وجعل ذلك الصلح فتحاً باعتبار ما فيه من المصلحة، وما آل الأمر إليه كما روى ابن مسعود - رضى الله عنه - وغيره أنه قال : إنكم تعدون الفتح فتح مكة، ونحن نعد الفتح صلح الحديبية»[4].

---

(١) البخارى كتاب المغازى باب غزوة الحديبية حـ ١٥٧/٥ ومسلم حـ ٢٦/٦ فى الكتاب والباب السابقين.

(٢) البخارى كتاب المغازى حـ ١٦٣/٥.

(٣) مسند الإمام أحمد حـ ٣ / ٣٥٠.

(٤) تفسير ابن كثير / سورة الفتح حـ ٥ / ٣٠٧ ط دار الشعب.

وفى تفسير الطبرى : «عن جابر رضى الله عنه قال : ما كنا نَعُدّ الفتح إلا يومَ الحديبية»[1].

فها هو عمر بن الخطّاب رضى الله عنه يسأل رسول الله ﷺ ثلاث مرات فلم يرد عليه، فقال فى نفسه : ثَكِلَتْكَ أُمّكَ يا ابن الخطاب نَزَرْتَ رسول الله ﷺ ثلاث مرات كل ذلك لا يُجيبُكَ أى ألححْتَ عليه فى المسألة إلحاحاً أدّبَكَ بسكوته عن جوابك. «ثَكِلَتْكَ أُمّكَ» دعا عمر على نفسه بسبب ما وقع منه وهو الإلحاح، ويحتمل أن يكون لم يرد الدعاء على نفسه حقيقةً وإنما هى من الألفاظ التى تقال عند الغضب من غير قصد معناها»[2].

لقد فكر عمر وخاف، وكرر سؤاله حتى يسمع الرسول ﷺ إذ خشى أن يكون النبى ﷺ لم يسمعه كيف وقد كرر ذلك ثلاث مرات فحرك بعيره ليترك المكان. عمر على شدته يخاف .. سبحان الله قلب مليء بالإيمان وحب لخير إنسان.. وخشية لله الواحد الديّان ..

لقد كان رسول الله ﷺ مشغولاً عنه بوحى السماء فما نشب عمر أن سمع مناديا يناديه ليقف أمام رسول الله ﷺ فلم يتأخر واستجاب للطلب وسعى سعيا حثيثاً وكله لهفة وشوق لمعرفة ماذا حدث؟ وهل أخطأ إن قلبه يرجف.. فسلّم على رسول الله ﷺ فقال له : «لقد أُنْزِلَتْ عليّ الليلة سورةٌ لهى أَحَبّ إليّ مما طَلَعَتْ عليه الشّمْسُ» أى لما فيها من البشارة بالمغفرة والفتح فهى أحب إليه من كل شئ، لأنه لا شئ إلا الدنيا والآخرة فأخرج الدنيا ولا شئ سواها إلا الآخرة إنها سورة الفتح ، وهى تبشير بأن ذلك الصلح فتح مؤكد،

---

(١) تفسير الطبرى حـ ٤٤/٢٦.
(٢) انظر فتح البارى حـ ٤٤٧/٨.

وفى داخلها من الجمال والجلال ورضا الرحمن ما يشرح الصدر، ويسر الخاطر، فى أولها مغفرة لرسول الله ﷺ (لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ) [1] وفى ختامها مغفرة لأصحابه (وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً) [2].

فما أعظمها من سورة وما أجمل ختامها «بتلك الصورة الوضيئة التى يرسمها القرآن لواقع صحابة رسول الله ﷺ، وبذلك الثناء الكريم على تلك الجماعة الفريدة السعيدة التى رضى الله عنها وبلغها رضاه فرداً فرداً» فليطمئن عمر الفاروق رضى الله عنه.

(١) سورة الفتح من الآية ٢

(٢) سورة الفتح من الآية ٢٩.

قصة جمع القرآن الكريم

عَنْ زَيْدِ بـنِ ثَابِتٍ قَالَ : بَعَثَ إلَىَّ أبُو بَكْرٍ لِمَقْتَلِ أهْلِ الـيَمَامَةِ وعِنْدَهُ عُمَرُ، فَقَالَ أبُو بَكْرٍ : إنّ عُمَرَ أتَانِى فَقَالَ : إنّ الـقَتْلَ قَد اسْتَحرَّ يَوْمَ اليَمَامَةِ بِقُرّاءِ الـقُرْآنِ ، وإنّى أخْشَى أنْ يَسْتَحِرّ القَتْلُ بِقُرّاءِ القُرْآنِ فى المواطِنِ كُلها فَيَذْهَبَ قُرْآنٌ كَثِيرٌ، وإنّى أرَى أنْ تَأمُرَ بِجَمْعِ القُرْآنِ، قُلْتُ : كَيْفَ أفْعَلُ شَيئاً لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ عُمَرُ : هُوَ واللهِ خَيْرٌ، فلم يَزَلْ عُمَرُ يُرَاجِعُنِى فى ذَلِكَ حَتىَّ شَرَحَ اللهُ صَدْرِى للّذى شَرَحَ لَهُ صَدْرَ عُمَر، ورَأيْتُ فى ذلك الّذِى رَأى عُمَرُ، قَالَ زَيْدٌ قَالَ أبُو بَكْرٍ : وَإنّكَ رَجُلٌ شَابٌ عَاقِلٌ لاَ نَتّهِمُكَ، قَدْ كُنْتَ تَكْتُبَ الوَحْيَ لرسول الله ﷺ فَتَتَبّعْ الـقُرْآنَ فَاجْمَعْهُ. قَالَ زَيْدٌ : فَوَاللهِ لَوْ كَلّفَنى نَقْلَ جَبَلٍ مِن الجبالِ مَا كَانَ بِأثْقَلَ عَلَىّ مِمّا كَلّفَنى مِنْ جَمْعِ القُرْآنِ، قُلْتُ : كَيْفَ تَفْعَلاَنِ شيئاً لم يَفْعَلْهُ رَسُولُ الله ﷺ؟ قَالَ أبُو بَكْرٍ : هُوَ واللهِ خَيْرٌ، فَلَمْ يَزَلْ يَحُثّ مُرَاجَعَتِى حَتىّ شَرَحَ اللهُ صَدْرِى للّذِى شَرَحَ اللهُ لَهُ صَدْرَ أبِى بَكْرٍ وعُمَرَ، ورَأيْتُ فِى ذَلِكَ الّذِى رَأيَا ، فَتَتَبّعْتُ القُرْآنَ أجْمَعُهُ مِن العُسُبِ والرّقَاعِ واللخَافِ وَصُدُورِ الرّجَالِ فَوَجَدْتُ فى آخِرِ سُورَةِ التّوْبَةِ (لَقَدْ جَاءَكُم رَسُولٌ مِنْ أنْفُسِكُم) إلى آخِرِها مَعَ خُزَيْمَةَ أوْ أبى خُزَيْمَةَ، فَألْحَقْتُهَا فِى سُورَتِهَا ، فَكَانَتْ الصّحُفُ عِنْدَ أبِى بَكْرٍ حَيَاتَهُ حَتى تَوَفّاهُ اللهُ عَزّ وَجَلّ ثُمّ عِنْدَ عُمَرَ حَيَاتَهُ حَتىّ تَوَفّاهُ اللهُ ، ثُمّ عِنْدَ حَفْصَةَ بنتِ عُمَرَ»[1] .

---

(١) البخارى كتاب الأحكام / باب يستحب للكاتب أن يكون أمينا عاقلا حـ ٩/٩٢-٩٣ ومثله فى كتاب فضائل القرآن / باب جمع القرآن حـ ٦/٢٢٥. وقصة أخرى عن خزيمة فى آية (من المؤمنين رجال) البخارى حـ ٥/١٢٢.

معانى المفردات:

مقتل أهل اليمامة أى عقب قتال من قتل من الصحابة فى موقعة اليمامة.

القتل قد استحر : اشتد وكثر

العُسُب : جمع عسيب وهو جريد النخل، كانوا يكشطون الخوص ويكتبون فى الطرف العريض منه.

الرّقاع: جمع رقعة وقد تكون من جلد أو ورق.

اللخاف: الحجارة الرقيقة أو صفائح الحجارة الرقاق.

الدراسة والتحليل:

كان القرآن ينزل على رسول الله ﷺ فيحفظه سريعا ويبلغه للناس، ويأمر كتاب الوحى بكتابته ، ويدلهم على موضع المكتوب من سورته، وكان المكتوب يوضع فى بيت رسول الله ﷺ بعد أن ينسخ الكتاب لأنفسهم منه صورة. وقد حفظه كله عن ظهر قلب من أصحاب رسول الله ﷺ عدد كبير على عهده وبعد وفاته فمنهم من الأنصار زيد بن ثابت، وأبى بن كعب، ومعاذ بن جبل، وأبو زيد، وأبو الدرداء.

وقد ذكر أبو عبيد من المهاجرين الخلفاء الأربعة ، وطلحة وسالما وسعد بن أبى وقاص، وعبدالله بن مسعود ، وحذيفة بن اليمان، وأبا هريرة والعبادلة ، ومن النساء عائشة وحفصة وأم سلمة. وغيرهم[1].

وثبت أن الذين اشتهروا بإقراء القرآن وتعليم من الصحابة عثمان بن عفان ، وعلى ابن أبى طالب، وأبى بن كعب وزيد بن ثابت، وعبدالله بن مسعود ، وأبو الدرداء وأبو موسى الأشعري[2].

يقول الشيخ عبدالفتاح القاضي: «ولم ينقض عهده ﷺ إلا والقرآن مكتوب كله ، بيد أنه لم يكن مجموعاً فى مكان واحد، ولا مرتب السور، وإنما لم يأمر النبى ﷺ بجمع القرآن فى مصحف واحد لأمرين :

الأول : أن اهتمام الصحابة إنما كان بحفظه واستظهاره لا بكتابته ونقشه .

الثانى : ما كان يترقبه الرسول ﷺ من ورود زيادة ، أو ناسخ لبعض أحكامه أو

(١) السيوطى : الإتقان فى علوم القرآن حـ ٢٥١/١.

(٢) السابق نفسه وفتح البارى حـ ٦٦٨/٨ و ٦٦٩.

تلاوته ، فلما انقضى نزوله بوفاته ﷺ وأمن مجيء زيادة أو نسخ ألهم الله تعالى الخلفاء الراشدين أن يجمعوه فى مكان واحد وفاء بوعده الصادق بضمان حفظه»[1].

وذكر البخارى عدة أحاديث فى «باب القُرَّاء من أصحاب النبى ﷺ» منها عن مسروق : ذكَرَ عبدالله بن عمرو عبدالله بن مسعود فقال : لا أزال أُحِبّه، سمعتُ النبى ﷺ يقول : خُذُوا القرآنَ من أربعةٍ : من عبدالله بن مسعود، وسالم ، ومعاذ بن جبل وأبى بن كعب»[2].

والأربعة المذكورة اثنان من المهاجرين ، واثنان من الأنصار.

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : ماتَ النبى ﷺ ولم يَجْمَعْ القرآنَ غَيْرُ أَرْبَعَةٍ : أبو الدرداء، ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت، وأبو زيد، قال: ونحن ورثناه»[3] قائل ذلك هو أنس بن مالك أحد أقارب أبى زيد الذى كان بدريا ، ولم يترك عقباً أى ذرية[4].
فالهاء تعود على أبى زيد (ورثناه).

لقد جمع القرآن فى عهد النبى ﷺ ، والقصة التى معنا تحكى كيف جاءت الفكرة لسيدنا عمر رضى الله عنه فى خلافة الصديق، وكيف راجعه أبو بكر حتى شرح الله صدره لهذا الأمر وتم اختيار بطل هذه القصة «زيد بن ثابت» ليقوم بهذه المهمة، وما الدافع إلى هذه الفكرة، وكيف تم الجمع.

---

(١) المصحف الشريف / ابحاث فى تاريخه وأحكامه ص ٥٤ و ص ٥٥ ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية سنة ١٩٦٨.
(٢) البخارى جـ ٦/٢٢٩.
(٣) البخارى جـ ٦/ ٢٣٠.
(٤) فتح البارى جـ ٨/ ٦٧٠.

لقد كانت موقعة اليمامة مع مسيلمة الكذاب الذى ادّعى النبوة وقوى أمره بارتداد كثير من العرب، فجهز إليه أبو بكر الصديق خالد بن الوليد فى جمع كثير من الصحابة فحاربوه أشد محاربة إلى أن خذله الله وقتله[1].

وقتل فى هذه المعركة جماعة كثيرة من الصحابة قيل سبعمائة وقيل أكثر[2]. لقد أرّق ذلك الصحابى الملهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه لأن هؤلاء كان أكثرهم من قراء القرآن قتل «سالم مولى أبى حذيفة» فلما قتل سالم خشى عمر أن يذهب القرآن فجاء إلى أبى بكر وقال له : «إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن، وإنى أخشى أن يستحر القتل بقراء القرآن فى المواطن كلها» أى فى المعارك فيذهب كثير من القرآن ، فمن الخير جمع القرآن وتدوينه قبل أن يقتل الباقون.

لقد جاء عمر بن الخطاب إلى أبى بكر رضى الله عنهما وذكر له ما اطمأنت إليه نفسه ، وخَوْفَهُ من موت القراء فيضيع القرآن بذهاب حفاظه ، لكن أبا بكر رضى الله عنه رَدّ عليه بهذا الرد الذى يدل على مدى الاتباع ، والحرص على سنة رسول الله ﷺ ، فظاهر الأمر «كيف أفعل شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ».

ولكن حقيقته أنه خير واجتهاد مأجور، ويحتاج الأمر إلى استخارة، لقد استخار أبو بكر واستخار عمر ربهما فشرح الله صدر أبى بكر لما شرح له صدر عمر.

لقد اتفق الرأى على كتابة المصحف، وجمع كتاب الله وتوثيق ذلك إلى أبعد حد، وفكّر أبو بكر فيمن يندب لهذا الأمر ولعله استعان برأى عمر رضى الله عنه واستقر الأمر

(١) انظر تاريخ الطبرى حـ ٣/ ٢٨١:١٠٣ بتحقيق محمد ابو الفضل ط دار المعارف وكتاب «أيام العرب فى الاسلام» لأبى الفضل ص ١٦٧ ط الحلبي.
(٢) فتح البارى حـ ٨ / ٦٢٨.

على زيد بن ثابت فهو أحد الذين اشتركوا في جمع القرآن على عهد النبي ﷺ ، وأحد الماهرين بالقرآن[1]. وقد قال له أبو بكر هنا «قد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ» ومن هنا أرسل أبو بكر رضي الله عنه إلى زيد بن ثابت وقال له: «إنَّكَ رَجُلٌ شَابٌ عَاقِلٌ لا نتهمك».

فذكر له أربع صفات تقتضي اختصاصه بذلك وأنه جدير بهذه الأمانة الملقاة على عاتقه.

أ - كونه شابا فيكون أنشط لما يُطْلَبُ منه .

ب - كونه عاقلاً فيكون أوعى له «وما استودع الله أحداً عقلاً ما إلا نفعه به يوماً ما».

حـ- كونه لا يُتَهَمُ فتركن النفس إليه .

د - كونه كان يكتب الوحي فيكون أكثر ممارسة له .

وقد توجد بعض هذه الصفات في غيره ، ولكنها وجدت مجتمعه في زيد، وقد راجعهما ثم شرح الله صدره لهذا الامر.

ما أعظمه من رجل عاقل أمين!! إذ لو لم تثبت أمانته وكفايته وعقله لما استكتبه النبي ﷺ الوحي. وهو ذو خبرة فمن سبق له علم بأمر يكون أولى به من غيره إذا وقع .

نعم لقد رأى في ذلك الذي رأياه فَتَأَهَّبَ للأمر ونادى عمر فقال: «من كان تَلَقَّى من رسول الله ﷺ شيئاً من القرآن فليأتِ به»، وتتبع زيدٌ القرآن يجمعه من الصحف وصدور الرجال «وكان لا يقبل من أحد شيئا حتى يشهد شهيدان، وهذا يدل على أن زيداً كان

---

(١) فتح الباري حـ ٨ / ٦٦٤.

لا يكتفى لمجرد وجدانه مكتوباً حتى يشهد به من تلقاه سماعاً مع كون زيد كان يحفظ، فكان يفعل ذلك مبالغةً فى الاحتياط »[1].

وإذا كان زيد قام بالجمع فمما لا شك فيه أن الاتفاق على منهجه كان بين الرجال الثلاثة : الصديق والفاروق وزيد. بدليل ما أورده ابن حجر من « أن أبا بكر قال لعمر ولزيد: اقْعُدَا على باب المسجد فمن جاء كما يشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه » وكأن المراد بالشاهدين الحفظ والكتابة، أو المراد أنهما يشهدان على أن ذلك المكتوب كتب بين يدى رسول الله ﷺ ، أو المراد أنهما يشهدان على أن ذلك من الوجوه التى نزل بها القرآن ، وكان غرضهم ألا يكتب إلا من عين ما كتب بين يدى النبى ﷺ لا من مجرد الحفظ »[2].

لقد كان الأمر ثقيلا، والمهمة صعبة، وكما قال زيد بن ثابت رضى الله عنه «فَوَاللهِ لَو كَلَّفُونى نَقْلَ جَبَلٍ من الجبالِ ما كانَ بِأَثْقَلَ عَلَىّ مِن جَمْعِ القُرْآنِ».

وكان من العجب أن وجد آخر التوبة مع أبى خزيمة أو مع خزيمة بن ثابت الأنصارى الذى تعدل شهادته شهادة رجلين وكان سيدنا عمر رضى الله عنه حاضراً فشهد أنه سمعهما من رسول الله ﷺ بأذنيه ووعاهما قلبه، وكان زيد يحفظهما[3]. فكان فى ذلك توثيق شديد، ومبالغة فى الاحتياط ليس لها مثيل ولا نظير.

(١) السيوطي: الإتقان فى علوم القرآن حـ١/ ٢٠٥ ولعله نقله عن ابن حجر.
(٢) فتح البارى حـ ٨/ ٦٣١.
(٣) انظر فتح البارى حـ ٨/ ٦٣١ - ٦٣٢.

وعن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال : لمّا نَسَخْنَا الصّحُفَ فى المصاحفِ فقدتُ آيةً من سورةِ الأحزاب كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرؤها لم أجدها مع أحدٍ إلا مع خزيمةَ الأنصارى الذى جعل رسول الله ﷺ شهادته شهادة رجلين (مِن المُؤْمِنينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ) [1].

وذلك لما روى من أن النبى ﷺ اشترى من أعرابى فرساً فاستتبعه ليقضيه ثمن الفرس فأسرع النبى ﷺ المشى وأبطأ الأعرابي، فطفق رجال يعترضون الأعرابى يساومونه فى الفرس حتى زادوه على ثمنه ، فطفق الأعرابى يقول : هَلُمّ شهيداً يَشْهَدُ أنى قد بعتُكَ، فمن جاء من المسلمين يقول: ويلك إن النبى ﷺ لم يكن يقول إلا الحق، حتى جاء خزيمةُ بنُ ثابتٍ فاستمع المراجعةَ فقال: أنا أشهد أنك قد بايعته، فقال له النبى ﷺ: بم تشهدُ؟ قال: بتصديقك وأنك لا تقول إلا حَقّاً، فجعل النبى ﷺ شهادةَ خُزَيْمَةَ بشهادة رجلين»[2].

فآية الأحزاب بالإضافة إلى آيتى سورة التوبة توثق للصحابة حفظهما وسماعهما من النبى ﷺ مما يدل على تواتر القرآن الكريم الذى بلغت كلماته كما ذكر السيوطى «سبعاً وسبعين ألف كلمة وتسعمائة وأربعاً وثلاثين كلمة»[3] وجاء فى أجزائه الثلاثين وسوره الأربعة عشر بعد المائة.

---

(١) البخارى كتاب التفسير حـ ١٤٦/٦.
(٢) هذه القصة أخرجها أبو داود والنسائي، يقول ابن حجر «ووقعت لنا بعلو فى جزء محمد بن يحيي الذهلى من طريق الزهري، وذكر الطبرانى رواية فيها اسم هذا الأعرابى وهو «سواد بن الحارث»، راجع فى ذلك فتح البارى حـ ٣٧٨/٨ - ٣٧٩.
(٣) الإتقان فى علوم القرآن ٢٤٢/١.

فكانت هذه الصحف عند أبى بكر رضى الله عنه حتى توفاه الله تعالى ثم كانت خلافة عمر رضى الله عنه فكتبت هذه الصحف فى صحيفة واحدة فكانت عنده ، ثم كانت عند حفصة بنت عمر رضى الله عنها وزوجة رسول الله ﷺ ، وكان ذلك الإيداع عندها تنفيذا لوصية سيدنا عمر، واستمر ذلك حتى طلبها عثمان لهذا الجمع الأخير لمصحف عثمان رضى الله عن الجميع .

تلك قصة جمع القرآن الكريم الذى هو دستور السماء وتشريع الله لعباده، والذى تكفّل الله تعالى بحفظه وهدى خيار الأمة لاتخاذ أقوم السبل، وأفضل الطرق لصيانته.

ونرى القصة تبدأ بتمهيد يذكر فيه عمر اشتداد القتل وموت كثير من القراء شهداء فى موقعة اليمامة، إنه تمهيد بإثارة قضية وإظهار لما يكن فى صدره من خشيته من تكرر ذلك فى موقعة أخري. وهنا تبرز المشكلة التى تواجه المجتمع المسلم كله ، ويقف البطل المفكر مشيراً على خليفة المسلمين ومراجعاً ، ثم تكون الاستخارة وينشرح الصدر لإتمام الأمر وينتدب له الرجل الكفء، وتأتى نهاية القصة فى قوة بدايتها ، فقد أتيح لها من مقومات القوة وعناصرها ما جعلها تنتهى بحسم وتنفيذ يحمل ثمرته المرجوة مع ما داخله من صعاب ومشاق ، وصبر جميل.

وجاءت القصة بأسلوب فيه البساطة الزاخرة بالحيوية والقوة، وبألفاظها التى تحمل ظلالا للمعانى من مثل «إنّ القَتْلَ قَدْ اسْتَحَرّ» فقد استعمل استفعل من الحر للدلالة على الشدة والمكروه.

ويأتي الجمال في رد عمر على الصديق: «هو والله خير» فيعبر عن هذا الأمر الجديد الذي استراحت له نفسه «نصيحةً لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين ووعامتهم» بقوله «خير» بل يقسم على ذلك. ويستريح الصديق لما استراح له عمر.

ويأتي السؤال في كل مرة : كيف تفعل ما لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ ليدل على بقاء الرسول فيهم بعد أن لحق بالرفيق الأعلي.

وتأتي المعجزة في شهادة خزيمة . وتدل القصة على مدى التعب الذي لقيه زيد بن ثابت في تتبع القرآن مكتوباً في الجلود، وجريد النخل والحجارة الرقيقة، والاستشهاد على المكتوب، ومراجعة ذلك على ما في صدره لأنه كان يحفظ القرآن كاملا.

وفي القصة إثارة وانفعالات من الأحداث والمواقف تدل على جودة العمل وتوفيقه.

اللهم اجعل القرآن العظيم ربيع قلوبا ، اللهم ذكّرنا منه ما نسينا، وعلمنا منه ما جهلنا، وارزقنا تلاوته آناء الليل وأطراف النهار، واجعله حجة لنا لا علينا إنك سميع النداء مجيب الدعاء .

إنما تدعون سميعا بصيرا

عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي غَزَاةٍ فَجَعَلْنَا لا نَصْعَدُ شَرَفاً ولا نَعْلُو شَرَفاً ولا نَهْبِطُ فِي وادٍ إلاَّ رَفَعْنَا أَصْوَاتَنَا بِالتكبيرِ، قَالَ : فَدَنَا مِنَّا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُم فَإِنَّكُم لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِبَاً، إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعاً بَصِيراً ثُمَّ قَالَ : يَا عَبْدَ اللهِ بنَ قَيْسٍ أَلاَ أُعَلِّمُكَ كَلِمَةً هِيَ مِن كنوز الجَنَّةِ لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ»[١].

الدراسة والتحليل :

راوى هذه القصة هو عبد الله بن قيس (أبو موسى الأشعري) ولد فى مدينة زبيد باليمن، يعود نسبه إلى بنى الأشعر من قحطان جد العرب القحطانيين الذين سكنوا اليمن جنوب الجزيرة العربية .

قيل إنه قدم مكة قبل الهجرة فأسلم، ثم هاجر إلى أرض الحبشة، ثم قدم المدينة مع أصحاب السفينتين بعد فتح خيبر[٢].

وقيل: بل خرج من بلاد قومه فى سفينة فألقتهم الريح بأرض الحبشة فوافقوا فيها جعفر بن أبى طالب فأقاموا عنده ورافقوه الى المدينة . وقد رجح ابن حجر هذا القول وبين أنه أصح[٣].

---

(١) البخارى كتاب القدر : باب لا حول ولا قوة إلا بالله ١٥٦/٨.

معانى المفردات:

الشرف : العلو

الغزاة : الغزوة الحربية

الوادى : كل منفرج بين جبال أو آكام يكون منفذا للسيل

اربعوا : ارفقوا ، يقال ربع الرجل يربع إذا رفق وكف.

(٢) تهذيب التهذيب حـ ٣٦٢/٥.

(٣) المرجع السابق.

وهو صحابي جليل، وفارس مقدام ، وقد استعمله النبي ﷺ على زَبيد وعدن[١]، وولاه أبو بكر عليها . وبعد أن تولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه الخلافة ولى أبا موسى (البصرة) التى كانت تعتبر أكبر قواعد المسلمين إذ تنطلق منها الجيوش إلى العراق وفارس غازية فاتحة وولاه الكوفه بعد البصرة فبقى والياً عليها قائما بالعدل والقسط بين الناس[٢].

وكان حسن الصوت ، قال فيه رسول الله ﷺ: «لقد أوتى هذا مِزْمَاراً من مزامير آل داود » وكان عمر رضى الله عنه إذ رآه قال : شَوّقنا إلى ربنا يا أبا موسى فيقرأ عنده»[٣] مات سنة ثلاث وخمسين من الهجرة[٤].

وهو يصور لنا مشهداً من مشاهد الدعاء والتهليل والتكبير ، وما كان من رسول الله ﷺ الذى بعث معلما لأمته وكان لا يرى أصحابه على حالة من الخير إلا أحب لهم الزيادة، لقد كانوا فى غزوة خيبر وكانوا لا يصعدون جبلا ولا يهبطون وادياً إلا رفعوا أصواتهم بالتكبير والتهليل أى كانوا يقولون لا إله إلا الله والله أكبر .

ولكنهم كانوا يرفعون أصواتهم فأرشدهم إلى الأليق فى التكبير والدعاء وهو الرفق .

(اربعوا على أنفسكم) نعم الذاكرون والداعون فى حاجة إلى التضرع والخفية ، والرغب والرهب.

---

(١) تهذيب التهذيب حـ ٣٦٢/٥.
(٢) قصص الصحابة : محمد قطب ص ٨٤ .
(٣) تهذيب التهذيب حـ ٣٦٣/٥ .
(٤) السابق نفسه.

إن الله سميع لدعاء عباده ، يجيب المضطرين ، ويرحم المسترحمين ، ويغفر للمستغفرين .

(فإنكم لا تَدْعُونَ أُصَمّ وَلاَ غَائِباً) سبحانه أقرب إلى عباده من حبل الوريد ، أقرب إلى كل فارس كان يركب فرسه ، وكل مرتحل «أقربُ إلى أحدكم من عُنُقِ راحلته».

سبحانه قال لحبيبه ﷺ : (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنّى فَإِنّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِى وليُؤْمِنُوا بِى لعَلَهُمْ يَرْشُدُونَ)[1] .

روى ان أعرابيا قال : يا رسول الله أقريبٌ ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه؟ فسكت النبى ﷺ «فأنزل الله هذه الآية»:

وروى عن عطاء أنه بلغه لما نزلت آية (وَقَالَ رَبّكُمْ أُدْعُونِى أَسْتَجِبْ لكُمْ) قال الناس : لو نعلم أى سَاعةٍ ندعو؟ فنزلت الآية .

وقيل إن حادثة الصحابة التى معنا فى خيبر من رفع أصواتهم بالتكبير هى السبب فى نزول الآية .

وعلى كُلّ فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فالآية عامة لكل سائل مخلص ولكل داعٍ متمسك بآداب الدعاء التى هى الطهارة والتوبة، وأكل الحلال، ومحاسبة القلوب قبل دعاء علام الغيوب.

والدعاء عبادة، والله تعالى لا يُخَيّبُ دعاء داعٍ، ولا يشغله عنه شئ وقد روى سلمان

---

(١) سورة البقرة الآية ١٨٦.

الفارسی رضی الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «إن الله تعالى ليستحيى أن يبسط العبد إليه يديه يسأله فيهما خيراً فيردهما خائبتين»[1]

وروى عن النبى ﷺ أنه قال :

«ما من مسلم يدعو الله عز وجل بدعوة ليس فيها إثمٌ ولا قطيعةُ رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث خصال إما أن يُعَجّل له دعوته، وإما أن يدخرها له فى الآخرة وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها ، قالوا : إذاً نكثر، قال : الله أكثر».

وعن أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه قال : يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم ما لم يستعجل، قيل يا رسول الله ، ما الاستعجال؟ قال : يقول: قد دعوت، وقد دعوت، فلم أر يستجاب لي، فيستحسر عند ذلك ويترك الدعاء»[2].

وروى البزار عن أنس عن النبى ﷺ قال : يقول الله تعالى : يا ابن آدم ، واحدةً لك، وواحدة لي، وواحدة فيما بينى وبينك، فأما التى لى فتعبدنى لا تشرك بى شيئا وأما التى لك فما عملت من شيء وفيتكه، وأما التى بينى وبينك فمنك الدعاء وعليَّ الإجابة».

فكانت هذه القصة سببا فى نزول آية الدعاء (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادى عني) وما أجملها ، وما أبدع التعبير فيها عَن قرب الإله الكريم من العبد إذا دعاه .

ففيها إضافة (العباد) إلى الله تعالي، والرد المباشر عليهم منه فلم يقل (فقل لهم) لأنه لا يريد واسطة بينه وبين عباده وقد علَّم الرسول ﷺ ابن عباس: «وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسأَلْ اللهَ، وإِذَا استَعَنْتَ فاستَعِنْ بالله» .

(١) ذكر ابن كثير أن الحديث رواه أبو داود والترمذى وابن ماجة / تفسير سورة البقرة حـ١/٣١٤.
(٢) مسلم كتاب الذكر والدعاء ٨٧/٨ ويستحسر أى ينقطع عن الدعاء.

لاَ تَسْأَلَنَّ بُنَىَّ آدَمَ حـــــــاجَةً   وَسَلْ الذى أبْوَابُهُ لاَ تُحْجَبُ
الـــلـــه يَغْضَبُ إنْ تَرَكْتَ سُؤَالَهُ   وبُنَيَّ آدَمَ حِينَ يُسْأَلُ يَغْضَبُ

فليسأل المسلم ربه موقناً بالإجابة ، فقد تولى الله بذاته العلية الجواب على عباده بمجرد السؤال (فإنى قريب) ولم يقل: أسمع الدعاء، بل عجّل بإجابة الدعاء (أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ).

إنها آية عجيبة تسكب فى قلب المؤمن النداوة الحلوة والود المؤنس، ورضا الله المطمئن ، والثقة واليقين ويعيش منها فى ملاذ أمين، وقرار مكين .

وقد مَرّ إبراهيم بن أدهم ذات يوم بسوق البصرة فاجتمع الناس إليه وقالوا له : يا أبا إسحاق : ما لنا ندعو فلا يستجاب لنا؟ فقال : لأن قلوبكم ماتت بعشرة أشياء، فقالوا : وما هى ؟ قال :

١ - عرفتم الله فلم تؤدوا حقه .
٢ - وزعمتم أنكم تحبون رسول الله ﷺ وتركتم سنته.
٣ - وقرأتم القرآن ولم تعملوا به .
٤ - وأكلتم نعمة الله ولم تؤدوا شكرها .
٥ - وقلتم إن الشيطان عدوكم ووافقتموه.
٦ - وقلتم إن الجنة حق ولم تعملوا لها .
٧ - وقلتم إن النار حق ولم تهربوا منها.
٨ - وقلتم إن الموت حق ولم تستعدوا له.
٩ - وانتبهتم من النوم فاشتغلتم بعيوب الناس وتركتم عيوبكم.
١٠- ودفنتم موتاكم ولم تعتبروا بهم.

فعلى المسلم أن يطهر قلبه ، وينقى نفسه ، ويدعو ربه ، ومع الإلحاح فى دعاء الله عليه أن يرفق بنفسه ، وأن يعلم أن الله قريب مجيب ، ورحيم ودود.

(ألا أعلمك كلمةً من كنوز الجنة) نعم ذخائر الجنة ومحصلات نفس الجنة من الذكر والدعاء ما عرفنا به خاتم الأنبياء ﷺ ، ومن ذلك «لا حول ولا قوة إلا بالله» أى لا تحويل للعبد عن معصية الله إلا بعصمة الله ولا قوة له على طاعة الله إلا بتوفيق الله ، ولا حيلة للعبد فى شئ. يقول الإمام النووي: «هى كلمة استسلام وتفويض، وأن العبد لا يملك من أمره شيئا وليس له حيلة فى دفع شر ولا قوة فى جلب خير إلا بإرادة الله تعالى»[1].

وأخرج الإمام أحمد عن أبى أيوب الأنصارى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ ليلة أُسْرِيَ به مَرّ على إبراهيم - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - فَقَال: مَنْ معك يا جبريلُ؟ قال هذا محمدٌ؛ فقال له ابراهيم: مُرْ أمتك فليكثروا من غِراس الجنة، فإن تربتَها طيبة، وأرضها واسعة، قال : وما غراس الجنة؟ قال : لا حول ولا قوة إلا بالله»[2].

(١) فتح البارى حـ ١١/٥٠٩.
(٢) مسند الإمام أحمد حـ ٥/٤١٨.

من كرامات الصحابة

عَنْ أنس بن مالك رضى الله عنه أن رجلين من أصحاب النبى ﷺ خرجا من عند النبى ﷺ فى ليلة مظلمة ومعهما مثل المصباحين يضيئان بين أيديهما فلما افترقا صار مع كل واحد منهما واحد حتى أتى أهله[١].

الدراسة والتحليل :

جعل الله الاسلام خير الأديان ، واعتنق هذا الدين القويم رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، ربّاهم الرسول ﷺ ليربوا الناس جميعا بهدى السماء ، ومكارم الأخلاق.

وهؤلاء الأصحاب كانوا نجوما يهتدى بها فى الظلام، وبأيهم اقْتُدِى اهتدي.

وقد عقد الإمام البخارى كتابا فى مناقب وفضائل أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار ، وأورد فيها أحاديث رسول الله ﷺ .

ومنها قوله : «خير أمتى قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، قال عمران فلا أدرى أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثاً، ثم إن بعدكم قوماً يَشْهَدُون ولا يُسْتَشْهَدُونَ، ويَخُونُونَ ولا يُؤْتَمَنُونَ، ويَنْذُرُونَ ولا يَفُونَ، ويظهر فيهم السِّمَنُ»[٢].

وعن عبدالله (بن مسعود) رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته»[٣].

---

(١) البخارى كتاب الصلاة حـ ١/١٢٥ وكتاب المناقب حـ ٤/٢٥١ وكتاب المناقب حـ ٥/٤٤.
(٢) البخارى / كتاب المناقب / باب فضائل أصحاب النبى ص حـ ٥/ ٢ و ٣.
(٣) البخارى كتاب المناقب حـ٥/٣.

فخير الناس هم أهل قرنه ﷺ وهم الصحابة، ثم التابعون ثم أتباع التابعين. يقول ابن حجر: «واقتضى هذا الحديث أن تكون الصحابة أفضل من التابعين، والتابعون أفضل من أتباع التابعين، لكن هل هذه الأفضلية بالنسبة إلى المجموع أو الأفراد؟ محل بحث، وإلى الثانى نحا الجمهور والأول قول ابن عبد البر، والذى يظهر أن من قاتل مع النبى ﷺ أو فى زمانه بأمره، أو أنفق شيئا من ماله بسببه لا يعدله فى الفضل أحد بعده كائنا من كان، وأما من لم يقع له ذلك فهو محل البحث، والأصل فى ذلك قوله تعالى: (لَا يَسْتَوِى مِنْكُم مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِن الذِينَ أَنْفَقُوا مِنَ بَعْدُ وَقَاتَلُوا) الآية. واحتج ابن عبدالبر بحديث: «مثل أمتى مثل المطر لا يدرى أوله خير أم آخره»[1].

وعلى كل فليس هناك أحد أفضل من الصحابة الذين جاهدوا بأموالهم وأنفسهم، وكانوا رهبان الليل فرسان النهار، وقد جاء قوله ﷺ:

«لا تسبوا أصحابى فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»[2].

وهؤلاء قد أعطاهم الله من الكرامة ما يبهر النفس ويشرح الصدر، ويسر الخاطر.

وقد قال صاحب الجوهرة:

وَأَثْبِتَنْ للأَوْليَاءِ الكَرَامَهْ وَمَنْ نَفَاهَا أَنْبِذَنْ كَلاَمَهْ

---

(١) فتح البارى جـ ٧/٨

أي اعتقد ثبوت الكرامة للأولياء بمعنى جوازها ووقوعها. ومن ذلك ما جاء في قصة مريم فكان زكريا عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام يدخل عليها فيجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء، وقصة أصحاب الكهف وهم سبعة من أشراف الروم خافوا بعد عيسى على إيمانهم من ملكهم فخرجوا ودخلوا غاراً فلبثوا فيه بلا طعام ولا شراب ثلثمائة وتسع سنين نياماً بلا آفة، وقصة (آصَف) وزير سليمان عليه السلام وكان يعرف الاسم الأعظم الذى إذا دعى الله به أجاب وإذا سئل به أعطي، فقال لسليمان: انظر إلى السماء فنظر إليها فدعا آصف بالاسم الأعظم أن يأتى الله بعرش بلقيس فأتى به ، فرد سليمان طرْفَه فوجده بين يديه، وما وقع من كرامات الصحابة والتابعين.[1]

«ومن نفاها أنبذن كلامه»

أي ومن نفى الكرامة وقال بعدم جوازها كالأستاذ وأبى عبدالله الحليمى من أهل السنة وجمهور المعتزلة اطرحن كلامه، ولا تعوّل عليه ، وتمسك من نفى الكرامة بأنه لو ظهرت الخوارق من الأولياء لالتبس النبى بغيره، لأن الخارق إنما هو المعجزة، وبأنها لو ظهرت على أيديهم لكثرت بكثرتهم وخرجت عن كونها خارقة للعادة.

وقد رُدَّ الأول بأنه ليس فى وقوعها التباس النبى بغيره للفرق بين المعجزة والكرامة. فالمعجزة تكون مع دعوى النبوة والكرامة ليس فيها ادعاء النبوة.

ورد الثانى بأننا لا نسلم أنها تخرج بكثرتها عن كونها خارقة للعادة، بل غاية الأمر استمرار خرق العادة[2].

---

(١) انظر كتاب «تحفة المريد على جوهرة التوحيد» لشيخ الاسلام الشيخ ابراهيم البجورى ص ١٥١ و ص ١٥٢ مطبعة بولاق سنة ١٢٨١هـ .
وآصف بالمد وفتح الصاد.
(٢) السابق ص ١٥٢.

والكرامة هي : «أمر خارق للعادة يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح ملتزم لمتابعة نبي كلف بشريعته مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح علم بها أو لم يعلم»[1].

ومن هذه الكرامات ما وقع للصحابة رضوان الله عليهم كالقصة التي معنا أن رجلين من أصحاب النبي ﷺ هما : أُسَيْد بن حضير، وعبّاد بن بشر[2].

هذان الصحابيان تأخرا مع النبي ﷺ في المسجد في ليلة شديدة البرد مظلمة لانتظار صلاة العشاء معه، وللمشي إلى المسجد في الليالي المظلمة فضل عظيم وأجر كبير، وقد قال ﷺ «بَشّر المشّائين في الظُلَم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة»[3].

فكان من فضل الله تعالى وإكرامه لهذين الصحابيين أن خرجا من عند النبي ﷺ ومعهما مثل المصباحين يضيئان بين أيديهما .. سبحان الله كيف كانت تلك المصابيح، وبأي الأسلاك كان اتصالها؟ وبأي قوة كانت!!

سبحان الله إنها العناية الإلهية، والكرامة الربانية. بالاضافة إلى ما ادخر الله لهما يوم القيامة ما هو أعظم وأتم من ذلك .

(يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)[4]

نعم كانت هذه الإضاءة عجيبة وغريبة، وقد روى انهما خرجا «وبيد كل منهما

---

(١) تحفة المريد على جوهرة التوحيد ص ١٥١ و ص ١٥٢.
(٢) فتح الباري حـ ١٥٦/٧.
(٣) أخرجه أبو داود وغيره انظر فتح الباري حـ ٦٦٥/١.
(٤) سورة الحديد الآية ١٢.

عُصَيّةٌ، فأضاءت عصا أحدهما حتى مشيا فى ضوئها ، حتى إذا افترقت بهما الطَرِيقُ أضَاءَتْ عصا الآخر فمشى كل منهما فى ضوء عصاه حتى بلغ أهله»[1].

ومن ذلك أيضاً ما روى عن أنس رضى الله عنه قال : قال النبى ﷺ لأُبَىّ : إنّ الله أمَرَنى أنْ أقْرَأَ عليك القرآنَ. قال أُبَيّ : آللهُ سَمّانى لكَ؟ قال : الله سَمّاك لى ، فجعل أُبَى يبكي. قال قَتَادَةُ : فأنبئت أنه قرأ عليه (لَمْ يَكُنْ الّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أهْلِ الكِتَابِ)[2].

نعم : إنه أبى بن كعب الأنصارى كان من السابقين فى الإسلام من الأنصار ، شهد العقبة وبدراً وما بعدهما وتوفى سنة (٣٠) ثلاثين من الهجرة وهو أحد الأربعة الذين أمَرَ رسول الله ﷺ بأخذ القرآن عنهم[3].

يا لها من كرامة كبيرة!! لم يصدقها أُبَيّ .. لقد أخذ يسأل: آلله سمّانى لك ؟ أى هل نَصّ عليّ باسمي، أو قال : اقرأ على واحد من أصحابك فاخترتنى أنتَ؟

لقد أخـذ يســأل ويعجب.. وأحب أن يسمع من رسول الله ﷺ ... فقال له رسول الله ﷺ .

«نعم باسمك ونسبك فى الملأ الأعلي»[4].

لقد فرح أُبَيّ بن كعب بذلك وقال : «وقد ذُكِرْتُ عند رب العالمين»؟ استفهم، وذرفت عيناه بالدموع إما فرحاً وسروراً بذلك ، وإما خشوعاً وخوفاً من التقصير فى شكر تلك

---

(١) هكذا روى عبدالرزاق فى مصنفه، والحاكم فى المستدرك انظر فتح البارى حـ ١٥٧/٧.
(٢) البخارى كتاب التفسير حـ ٢١٧/٦ ومثله فى كتاب المناقب ٤٥/٥.
(٣) انظر فتح البارى حـ ١٥٨/٧ و ص ١٥٩.
(٤) رواية الطبرانى كما فى فتح البارى حـ ١٥٩/٧.

النعمة. قال القرطبي: «تعجب أُبَيّ من ذلك لأن تسمية الله له ونصّه عليه ليقرأ عليه النبى ﷺ تشريف عظيم»[1].

«إنّ الله أمَرَنى أنْ أقْرَأ عَلَيْكَ القُرْآنَ»

وهنا أدرك أبى فوق التسمية والنص عليه وذكره فى الملأ الأعلى تعليم النبى ﷺ له ليتثبت فى القراءة، وللتنبيه على فضيلته وتقدمه فى حفظ القرآن، وليس المراد أن يتعلم الرسول ﷺ من أبىّ، وليعطينا درساً نافعاً فى التواضع ليأخذ المسلم العلم من أهله وإن كانوا أقل منه. وكان تحديد السورة من السماء أيضا وهى سورة (لم يكن) وتسمى أيضا سورة القيمة أى الملة القيمة، وسورة البَيِّنة .

«إن الله أمرنى أن أقرأ عليك القرآن» أى لتتعلم منى وتسمع وليحفظه قلبك وتعيه أذناك. وفى رواية «إن الله أمرنى أن أقرئك القرآن» أى أعلمك بقراءتى عليك كيف تقرأ.

سبحان الله دروس كبيرة وفوائد عظيمة وحكمة جليلة، إذ بهذه القراءة يتحقق قوله تعالي: (رَسُولٌ مِن اللهِ يَتْلُو صُحُفاً مُطَهَرَةً) كما ان لتخصيص هذه السورة بالذكر حكمة وذلك «لما اشتملت عليه من التوحيد والرسالة والإخلاص والصحف، والكتب المنزلة على الأنبياء ، وذكر الصلاة والزكاة والمعاد وبيان أهل الجنة والنار مع وجازتها»[2] أى إيجازها.

---

(١) فتح البارى حـ ١٥٩/٧.
(٢) المرجع السابق.

جاءت السورة لتدعو إلى «عبادة الله وحده، وإخلاص الدين له، والميل عن الشرك وأهله، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة : (وَذَلِكَ دِينُ القَيِّمَة) عقيدة خالصة فى الضمير، وعبادة لله، تترجم عن هذه العقيدة، وإنفاق للمال فى سبيل الله وهو الزكاة.. فمن حقق الإيمان كما أُمِرَ به أهل الكتاب، وكما هو فى دين الله على الإطلاق . دين واحد، وعقيدة واحدة تتوالى بها الرسالات ويتوافى عليها الرسل.. دين لا غموض فيه ولا تعقيد.. وعقيدة لا تدعو إلى تفرق ولا خلاف، وهى بهذه النصاعة، وبهذه البساطة، وبهذا التيسير»[١]. فما أعظمها من قصص هادفة ..

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن جـ ٣٩٥٢/٦ ط التاسعة دار الشروق.

فهرس أهم المراجع

١ - القرآن الكريم.

٢ - الإتقان فى علوم القرآن : السيوطى تحقيق محمد أبو الفضل، ط الهيئة العامة للكتاب سنة ١٩٧٤.

٣ - الإسرائيليات فى التفسير والحديث : للأستاذ الدكتور محمد حسين الذهبى ط مجمع البحوث الإسلامية بمصر سنة ١٩٧١.

٤ - الإسلام عقيدة وشريعة : الشيخ محمود شلتوت، ط دار الشروق.

٥ - أيام العرب فى الإسلام : محمد أبو الفضل إبراهيم وآخر الحلبى سنة ١٩٧٤م.

٦ - البيان النبوى : للأستاذ الدكتور محمد رجب البيومى ط دار الوفاء بالمنصورة، الطبعة الأولى ١٩٨٧م.

٧ - تاريخ الطبرى تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم (١١ مجلداً) ط دار المعارف بمصر / الطبعة السادسة.

٨ - تحذير الخواص من أكاذيب القصاص : جلال الدين السيوطى ط مجلة الأزهر.

٩ - تحفة المريد على جوهرة التوحيد : الشيخ إبراهيم البيحوري، بولاق، سنة ١٢٨١هـ.

١٠ - تفسير ابن كثير تحقيق عبدالعزيز غنيم وآخرين ط دار الشعب بمصر سنة ١٩٧١.

١١ - تهذيب التهذيب : ابن حجر العسقلانى (١٢ مجلداً) نشر دار الفكر العربي، مصورة عن طبعة الهند.

١٢ - صحيح البخارى : لأبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى (٩ أجزاء) فى ثلاثة مجلدات ط دار الشعب.

١٣ - الفاضل : لأبى العباس محمد بن يزيد المبرد ، تحقيق عبدالعزيز الميمنى ط الهيئة العامة للكتاب بمصر سنة ١٩٧٥.

١٤- فتح البارى بشرح صحيح البخاري: للإمام الحافظ أحمد ابن على بن حجر العسقلانى (١٤ مجلداً) ط دار الريان بمصر سنة ١٩٨٦م.

١٥- فى ظلال القرآن : للأستاذ سيد قطب (٦ مجلدات) ط دار الشروق بمصر ، الطبعة التاسعة ١٩٨٠م.

١٦- القاموس المحيط : للعلامة مجد الدين الفيروز ابادى (٤ مجلدات) الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٧م.

١٧- القصص فى الحديث النبوى «رسالة ماجستير» للدكتور محمد بن حسن الزير ط السلفية بمصر / الأولى سنة ١٩٧٨م.

١٨- القول المبين فى سيرة سيد المرسلين : الدكتور محمد الطيب النجار نشر مكتبة الجامعة الأزهرية سنة ١٩٧٣م.

١٩- لطائف الإشارات لفنون القراءات : للعسقلانى تحقيق الشيخ عامر عثمان ود. عبدالصبور شاهين، ط المجلس الأعلى للشئون الاسلامية بمصر .

٢٠- مجلة الأزهر «مجلة مصرية» الأعداد:

الجزء الثالث من السنة ٦٧ ربيع الأول ١٤١٥هـ.

الجزء الرابع من السنة ٦٧ ربيع الآخر ١٤١٥هـ.

٢١- مسند الإمام أحمد بن حنبل : المكتب الإسلامى للطباعة والنشر - بيروت «٦ مجلدات» ط الثانية سنة ١٩٧٨م.

٢٢- المصحف الشريف : أبحاث فى تاريخه وأحكامه للشيخ عبدالفتاح القاضى ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، سنة ١٩٦٨.

٢٣- معجم ألفاظ القرآن الكريم ، إصدار مجمع اللغة العربية، ط دار الشروق.

٢٤- من أسرار القرآن : الدكتور مصطفى محمود ، ط دار المعارف.

٢٥- منهج السنة فى الزواج «رسالة دكتوراء» للدكتور محمد الأحمدى أبو النور ط دار التراث بمصر / الأولى سنة ١٩٧٢.

فهرس الموضوعات

القسم الثاني